المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

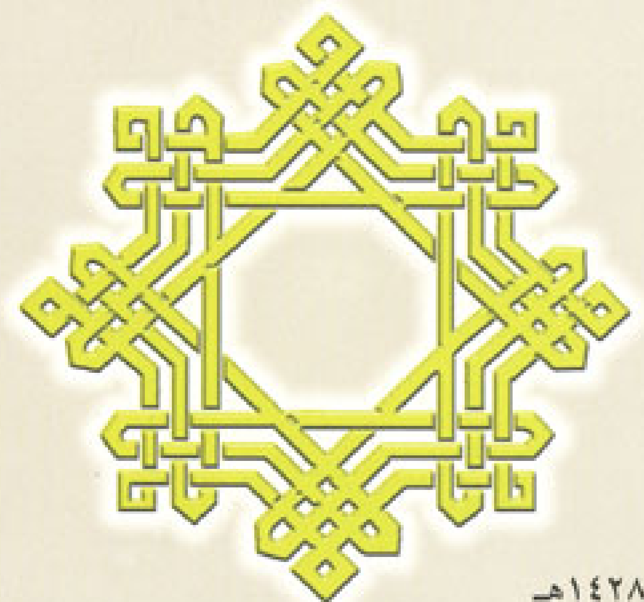


التوحيد

للصف الثالث الثانوي

قسم العلوم الشرعية والعربية

(بنين)



طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

يوزع مجاناً ولا يباع

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي



قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

التوحيد

للصف الثالث الثانوي

قسم العلوم الشرعية والعربية

(بنين)

طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

يوزع مجاناً ولا يباع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعودية، وزارة التربية والتعليم

التوحيد: للصف الثالث الثانوي: قسم العلوم الشرعية والعربية-
ط٣. - الرياض.

١٥٠ ص؛ ٢١ x ٢٣ سم

ردمك: ٢-٦٩-٠-١٩-٠-٩٩٦٠

١- التوحيد-كتب دراسية ٢- التعليم الثانوي-السعودية-كتب
دراسية أ- العنوان.

ديوي ٢٤٠ ١٩/٠١٣٩

رقم الإيداع: ١٩/٠١٣٩

ردمك: ٢-٦٩-٠-١٩-٠-٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمّة وفائدة كبيرة فحافظ عليه واجعل نظافته تشهد على حسن سلوكك معه ....

إذا لم تحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتك الخاصة في آخر العام للاستفادة فاجعل مكتبة مدرستك تحتفظ به ...

موقع الوزارة
ww.moe.gov.sa
موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية
runit@moe.gov.sa



بسم الله الرحمن الرحيم

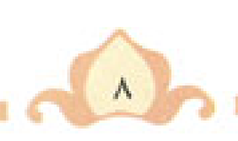
الفهـــرس العـــام

تابع الفهـرس

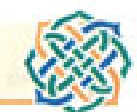
الفصل الدراسي الأول

الانحراف في حياة البشرية
ولمحة تاريخية عن الكفر والشرك والنفاق

ويتضمن الفصول التالية:

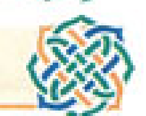


الفصل الأول: الانحراف في حياة البشرية



عبادة الله تعالى هي الغاية:

خلق الله الخلق لعبادته، وهيأ لهم ما يعينهم عليها من رزقه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[1].



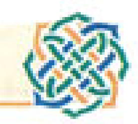
التوحيد هو الفطرة:

والنفس بفطرتها إذا تُرِكت كانت مُقِرَّةً لله بالإلهية مُحبةً للَّـه تعبده لا تشرك به شيئاً. فالتوحيد مركوز في الفطَر والشرك طارئ ودخيل عليها، قال الله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه)**[3].

فالأصل في بني آدم التوحيد والدين والإسلام من عهد آدم عليه السلام ومن جاء بعده من ذريته قروناً طويلة، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[4].



بداية الانحراف في تاريخ البشرية:

وأول ما حدث الشرك والانحراف عن العقيدة في قوم نوح عليه السلام، فكان هو أول رسول، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[5].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام.

---

(١) الآيات (٥٦-٥٨) من سورة الذاريات. (٢) الآية (٣٠) من سورة الروم.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ج ٢ ص ٩٧ ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين حديث رقم ٢٦٥٨ صفحة ٢٠٤٧.

(٤) الآية (٢١٣) من سورة البقرة. (٥) الآية (١٦٣) من سورة النساء.

قال ابن القيم: وهذا القول هو الصواب قطعاً فإن قراءة أبي بن كعب (يعني في آية البقرة): **(فاختلفوا فبعث الله النبيين)**[1]، ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[2]. فبعثة النبيين سببها الاختلاف عما كانوا عليه من الدين الصحيح.

وكان العرب بعد ذلك على دين إبراهيم - عليه السلام - حتى جاء عمرو بن لُحَيٍّ الخُزَاعي فَغَيَّر دين إبراهيم وجلب الأصنام إلى أرض العرب وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فَعُبِدت من دون الله وانتشر الشرك في هذه البلاد المقدسة وما جاورها، إلى أن بعث الله نبيه محمداً خاتم النبيين - ﷺ - فدعا الناس إلى التوحيد واتباع ملة إبراهيم وجاهد في الله حق جهاده حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم وكسر الأصنام وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة على العالمين، وسارت على نهجه القرون المفضلة من صدر هذه الأمة، إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة ودخلها الدخيل من الديانات الأخرى فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة بسبب دعاة الضلال وبسبب البناء على القبور متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين وادعاء المحبة لهم حتى بنيت الأضرحة على قبورهم، واتُّخِذَتْ أوثاناً تعبد من دون الله بأنواع القربات من دعاء واستغاثة وذبح ونذر لمقاماتهم.

وسَمَّوا هذا الشرك توسلاً بالصالحين إظهاراً لمحبتهم وليس عبادة لهم بزعمهم، ونسوا أن هذا هو قول المشركين الأولين حيث يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[3].

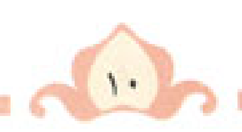
ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديماً وحديثاً فالأكثرية منهم يؤمنون بتوحيد الربوبية وإنما يشركون في العبادة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[4].

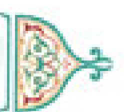
ولم يجحد وجود الرب إلا نزر يسير من البشر كفرعون والملاحدة الدهريين والشيوعيين في هذا الزمان، وجحودهم به من باب المكابرة وإلا فهم مضطرون للإقرار به في باطنهم وقرارة نفوسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[5].

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد، وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لا بد له من مدبر حكيم قدير عليم، من أنكره فهو إما فاقد لعقله أو مكابر قد ألغى عقله وسفه نفسه وهذا لا عبرة به.

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/١٠٢).
(٢) الآية (١٩) من سورة يونس.
(٣) الآية (٣) من سورة الزمر.
(٤) الآية (١٠٦) من سورة يوسف.
(٥) الآية (١٤) من سورة النمل.





الأسئلة

س١ : لماذا خلق الله الخلق مع الاستدلال على ذلك؟

س٢ : اختر الإجابة الصحيحة:

(أ) الإنسان مفطور على الخير والشر.

(ب) الأصل في بني آدم الشرك فبعث الله النبيين لدعوتهم إلى التوحيد.

(جـ) كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام.

(د) جاء قصي بن كلاب فغير دين إبراهيم الذي كان عليه العرب.

(هـ) أول من عبد الأصنام وجلبها إلى جزيرة العرب قبيلة خزاعة.

س٣ : ما المراد بالإيمان في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾؟

الفصل الثاني الشرك: تعريفه - أنواعه

(أ) تعريفـــــه :

الشرك هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، والغالب وقوع الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة.

خطر الشرك وعظمه :



الشرك أعظم الذنوب وذلك لأمور:

١ - لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها وذلك أعظم الظلم.

٢ - أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2].

٣ - أن الله أخبر أنه حرَّم الجنة على المشرك وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3].

٤ - أن الشرك يحبط جميع الأعمال، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[5].

٥ - أن المشرك إذا قاتل المسلمين يكون حلال الدم والمال، أما إذا لم يقاتل المسلمين فلا يعتدى عليه كما قال تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[6]،

---

(١) الآية (١٣) من سورة لقمان.
(٢) الآية (٤٨) من سورة النساء.
(٣) الآية (٧٢) من سورة المائدة.
(٤) الآية (٨٨) من سورة الأنعام.
(٥) الآية (٦٥) من سورة الزمر.
(٦) الآية (١٩٠) من سورة البقرة.

أما الكافر الموجود في بلاد المسلمين التي فتحوها أو من جاء من الكفار إلى بلاد المسلمين لعمل أو تجارة وأعطوا العهد والأمان فهؤلاء لا يجوز الاعتداء على أموالهم أو أعراضهم أو قتلهم، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)**[1].

٦ - أن الشرك تنقص وعيب نَزَّه الرب سبحانه نفسه عنه فمن أشرك بالله فقد نسب لله ما نزه نفسه عنه وهذا غاية المحادة لله تعالى وغاية المعاندة والمشاقة لله.

٧ - أن الشرك أكبر الكبائر، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)** ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله قال: **(الإشراك بالله وعقوق الوالدين)** الحديث[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «أخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به»، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3]. وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[4]. ومن أعظم القسط التوحيد وهو رأس العدل وقوامه، كما أخبر أن الشرك ظلم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[5].

فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر. أ. هـ[6].



(ب) أنواع الشرك:

النوع الأول:

شرك أكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من أصحاب القبور والجن

---

(١) رواه البخاري كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، ح ٣١٦٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها حديث رقم ٨٧ ص ٩١.

(٣) الآية (٥٦) من سورة الذاريات.

(٤) الآية (٢٥) من سورة الحديد.

(٥) الآية (١٣) من سورة لقمان.

(٦) الجواب الكافي ص ٩-١٠.

والشياطين، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما يمارس الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين. قال تعالى:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[١].

النوع الثاني:

شرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:-

القسم الأول: شرك ظاهر وهو: ألفاظ وأفعال. **فالألفاظ** كالحلف بغير الله، قال ابن عمر رضي الله عنهما -: لا يُحلَف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)**[٢].

وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان. والصواب أن يقال: ماشاء الله ثم فلان، ولولا الله ثم فلان، لأن ثم تقتضي الترتيب مع التراخي فتجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، قال تعالى:

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣]،وأما الواو فهي لمطلق الجمع والاشتراك لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

وأما الأفعال: فمثل لبس الحَلْقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفاً من العين وغيرها إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسباباً. أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر؛ لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات- كالرياء والسمعة-كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله يريد به ثناء الناس عليه، كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويثنى عليه، أو يتلفظ الذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه، والرياء إذا خالط العمل أبطله.

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٤].

وقال النبي ﷺ: **(أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر-قالوا يا رسول الله: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء)**[٥].

---

(١) الآية (١٨) من سورة يونس.

(٢) رواه الترمذي، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله رقم ١٥٣٥ وعند أبي داود عن ابن عمر: (من حلف بغير الله فقد أشرك) كتاب الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء وصححه الحاكم وغيره.

(٣) الآية (٢٩) من سورة التكوير. (٤) الآية (١١٠) من سورة الكهف.

(٥) رواه أحمد ج٥ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ والطبراني في الكبير رقم ٤٣٠١ والبغوي في شرح السنة ج ١٤ ص ٣٢٣، ٣٢٤ وقال المنذري: إسناده حسن، وقال الهيثمي بعدما عزاه لأحمد: ورجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن.

ومنه العمل لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي أو يجاهد لأجل المال. قال النبي ﷺ: **(تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط)**[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقَلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته. وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام. كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2]. وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء[3]. انتهى.

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

مما مر يتبين أن هناك فروقاً بين الشرك الأكبر والأصغر وهي:

١ - الشرك الأكبر يخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

٢ - الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فيها إن دخلها.

٣ - الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذي خالطه الرياء أو كان العمل لأجل الدنيا فقط.

٤ - الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما.

٥ - الشرك الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً بل صاحبه يُحَبُّ ويُوالَى بقدر ما فيه من الإيمان ويُعَادَى بقدر ما فيه من العصيان. والمقصود بتحريم محبة الكافر هنا المحبة الدينية التي تقتضي المناصرة والمؤازرة فهذه لا تجوز إلا للمسلم، وأما الكافر فيبغض لأجل كفره ولو كان أقرب قريب وأدلة هذا الأصل كثيرة قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[4]. الآية.

---

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو ج٣ ص ٢٢٣ وكتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال ج ٧ ص ١٧٥.

(٢) الآية (٨٥) من سورة آل عمران. (٣) الجواب الكافي ص ١١٥. (٤) سورة الممتحنة - آية: ٤.

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[1]. وأما المحبة الطبيعية كمحبة الزوجة أو الوالد أو الولد أو الأخ إذا كانوا كفاراً غير محاربين فجائزة، فطبيعة العلاقة بينهما علاقة بر وتعاون وإحسان ودعوة، ولذلك يجوز الإهداء والتعامل معهم ويحرم التعدي عليهم وظلمهم، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[2].

فالنهي واقع على التولي والمحبة لأجل الدين، والأمر بالإحسان والبر واقع على الإحسان لأجل القرابة أو لأجل الجوار على وجه لا يخل بدين المسلم.

الأسئلة

س١: عرف الشرك، ولماذا صار أعظم الذنوب؟

س٢: اذكر الدليل على: (أ) أن الله لا يغفر لمن أشرك به. (ب) أن الله حرم الجنة على المشرك وأنه مخلد في النار.

(جـ) أن الشرك أكبر الكبائر.

س٣: علل لما يأتي: ١- الشرك أظلم الظلم. ٢- الشرك تنقص وعيب نزّه الله سبحانه نفسه عنه.

٣ - المشرك أجهل الجاهلين بالله.

س٤: اذكر أنواع الشرك مع الاستدلال على ذلك.

س٥: ضع علامة (√) أو علامة (×) أمام العبارات التالية:

١- الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الملة ولا يخلده في النار.

٢- رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أصغر.

٣- الحلف بغير الله شرك خفي.

٤- لبس الحلقة والخيط واعتقاد أن هذه أسباب لرفع البلاء شرك أصغر.

٥- من يحسن صلاته ويتصدق من أجل أن يمدحه الناس ويثنوا عليه شرك خفي.

س٦: اذكر الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

---

(١) سورة المجادلة - آية: ٢٢. (٢) سورة الممتحنة - آية: ٨-٩.

يستند كثير من الناس في تبرير ضلالهم وشركهم إلى شبه وحكايات باطلة نذكر أهمها فيما يلي ليكون المسلم على بصيرة في دينه ويزداد يقيناً بضلال المشركين.

أولاً: شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفاً عن سلف كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[1]. وهذه حجة باطلة؛ فإن هؤلاء الآباء الذين قلدوهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك لا تجوز متابعته والاقتداء به. قال تعالى رداً عليهم: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[2].

وإنما يكون الاقتداء بالآباء محموداً إذا كانوا على حق كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام:

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾[3]. وقال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[4].

ثانياً: ومن الشبه التي تعلقوا بها قولهم: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله فنحن نريد من الله جاههم وشفاعتهم.

ويجاب عن هذه الشبهة بأن هذا هو ما قاله المشركون من قبل في تبرير ما هم عليه، وقد كفرهم الله وسماهم مشركين كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[6]. والشفاعة حق، ولكنها ملك لله وحده كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[7]. فهي تطلب من الله لا من الأموات، لأن الله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا غيرهم لأنها ملكه سبحانه وتطلب منه ليأذن للشافع أن يشفع. وليس الأمر كما هو عند المخلوقين من تقدم الشفعاء لديهم بدون إذنهم ويضطرون إلى قبول الشفاعة لحاجتهم إليهم وإن لم يرضوا عن المشفوع فيه؛ لأنهم يحتاجون إلى الأعوان والوزراء، أما الله سبحانه فلا

(١) الآية (٢٣) من سورة الزخرف.
(٢) الآية (١٠٤) من سورة المائدة.
(٣) الآية (٣٨) من سورة يوسف.
(٤) الآية (٢١) من سورة الطور.
(٥) الآية (١٨) من سورة يونس.
(٦) الآية (٣) من سورة الزمر.
(٧) الآية (٤٤) من سورة الزمر.

يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه عن المشفوع فيه، قال تعالى:

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[1].

ثالثاً: ومن الشبه التي يحتج بها المشركون ظنهم أن مجرد النطق بـ «لا إله إلا الله» يكفي لدخول الجنة ولو فعل الإنسان ما فعل فإنه لا يكفر وهو يقول: «لا إله إلا الله» متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حرم على النار.

والجواب: أن الأحاديث ليست على إطلاقها وإنما هي مقيدة بأحاديث أخرى جاء فيها أنه لا بد لمن قال: «لا إله إلا الله» أن يعتقد معناها بقلبه ويعمل بمقتضاها فيكفر بما يعبد من دون الله، كما في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[2]. وإلا فالمنافقون يقولون: «لا إله إلا الله» بألسنتهم وهم في الدرك الأسفل من النار ولم ينفعهم النطق بـ «لا إله إلا الله»؛ لأنهم لا يعتقدون ما دلت عليه بقلوبهم، وفي حديث طارق بن أشيم: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[3] فعلق النبي ﷺ حرمة المال والدم على أمرين: **الأول:** قول لا إله إلا الله. **والثاني:** الكفر بما يعبد من دون الله ولم يكتف بمجرد النطق بـ «لا إله إلا الله» فدلَّ على أن الذي يقول لا إله إلا الله ولا يترك عبادة الموتى والتعلق بالأضرحة لا يحرم ماله ولا دمه.

رابعاً: ومن الشبه التي يتعلقون بها: دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وأن ما يفعلونه عند الأضرحة من عبادة الموتى ودعائهم من دون الله لا يسمى شركاً عندهم.

والجواب عن هذا: أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون في هذه الأمة مشابهة لليهود والنصارى فيما هم عليه. ومن ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وأخبر ﷺ أنها لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمته الأوثان، وقد حدث في هذه الأمة من الشرك والمبادئ الهدَّامة والنِّحَل الضالة ما خرج به كثير من الناس عن دين الإسلام وهم يقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

---

(١) الآية (٢٦) من سورة النجم.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت ١/ ١١٠.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ص٥٣ حديث رقم ٣٧.



خامساً: ومن الشبه قولهم: إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم.

والجواب: أن المؤمنين كلهم أولياء الله، ولكن الجزم لشخص معين أنه ولي لله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة، ومن ثبتت ولايته لم يجز لنا الغلو فيه والتبرك به؛ لأن ذلك من وسائل الشرك والله أمرنا بدعائه مباشرة دون اتخاذ وسائط بيننا وبينه، ولأن هذا هو التعليل الذي علل به المشركون من قبل: أنهم اتخذوا هؤلاء شفعاء ووسائط بينهم وبين الله، يسألون الله بجاههم وقربهم فأنكر الله عليهم ذلك.



الأسئلة

س١: كيف تجيب عن شبهة من يقول: إني مسلم أقول: لا إله إلا الله وذلك كاف في دخولي الجنة ولو فعلت ما فعلت؟ مع ذكر الدليل.

س٢: متى يكون الاقتداء بالآباء محموداً؟مع الدليل.

س٣: كيف ترد على شبهة من يقول: لا يقع في الأمة المحمدية شرك؟

س٤: كيف ترد على شبهة من يقول: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؟مع ذكر الأدلة.

الفصل الرابع

الكفر: تعريفه - أنواعه

(أ) تعريفـــــه :

الكفر في اللغة : التغطية والستر .

والكفر شرعاً: ضد الإيمان - فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسلـه - سواء أكان معه تكذيب أم لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن الإيمان أو حسدٌ أو كـبرٌ أو اتباع لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم من غيره[1] .

(ب) أنواعـــه:

الكفر نوعان: **النوع الأول:** كفر أكبر يخرج من الملة وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] .

القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] .

القسم الثالث: كفر الشك - وهو كفر الظن - والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾[4] .

القسم الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾[5] .

القسم الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[6] .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٣٣٥).
(٢) الآية (٦٨) من سورة العنكبوت.
(٣) الآية (٣٤) من سورة البقرة.
(٤) الآية (٣٥-٣٨) من سورة الكهف.
(٥) الآية (٣) من سورة الأحقاف.
(٦) الآية (٣) من سورة المنافقين.

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، مثل الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾[1].

ومثل الحلف بغير الله قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[2].

ومثل قتال المسلم المذكور في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**سِبَابُ المسلم فُسُوقٌ وقتاله كُفْرٌ**)[3].

وفي حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع: (**استنصت الناس**) ثم قال: (**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**)[4].

وقد جعل الله مرتكب الكبيرة مؤمناً كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾[5].

فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخاً لولي القصاص فقال: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[6]. والمراد أخوة الدين بلا ريب، وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾. إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[7]، [8].

وأما الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر فيقال فيه مثل ما قيل في الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

---

(١) الآية (١١٢) من سورة النحل.

(٢) تقدم تخريجه ص١٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ج ١ ص ١٧-١٨ ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي -ﷺ- سباب المسلم فسوق وقتاله كفر حديث ٦٤ من ٨١ وفي مواضع أخرى فيهما.

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء ج ١ ص٣٨ ومواضع أخرى فيه، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي -ﷺ- لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض حديث ٦٥ ص ٨١-٨٢.

(٥) الآية (١٧٨) من سورة البقرة. (٦) الآية (١٧٨) من سورة البقرة.

(٧) الآية (٩-١٠) من سورة الحجرات. (٨) شرح الطحاوية صفحة (٣٦١) ط المكتب الإسلامي.



الأسئلة

س١ : عرف الكفر لغة وشرعاً.

س٢ : اذكر الأدلة على ما يأتي:

(أ) كفر الظن.

(ب) كفر التكذيب.

(جـ) كفر الإباء والاستكبار مع التصديق.

(د) كفر الإعراض.

(هـ) كفر النفاق.

س٣: بين الكفر المخرج من الملة في النصوص التالية:

(أ) قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴾.

(ب) قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ ﴾.

(جـ) قال ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر).

(د) قال ﷺ : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).

الفصل الخامس النفاق : تعريفه - وأنواعه

تعريفـــــه :

النفاق لغة مصدر: نافق، يقال: نافق ينافق نفاقاً ومنافقة وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره فإنه إذا طُلِب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه، وقيل: هو من النَّفَق وهو السَّرَب يستتر فيه[1].

وأما النفـاق في الشرع فـمعناه: إظهار الإسـلام والخير وإبطان الكفر والشـر. سمي المنافق بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب آخر. وعلى ذلك نبَّه الله تعالى بقوله:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2] أي الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شراً من الكافرين فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[3].

وقـال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[4]. وقـال تـعـالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[5].

أنــــواعـــه :

النفاق نوعان :

النوع الأول: النفاق الإعـتقادي وهو النفـاق الأكبر الذي يظهر صـاحبه الإسـلام ويبطن الكفر. وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

صـفـات أهله والتحـذير منهم: وقـد وصف الله أهله بصفـات الشـر كلهـا من الكفر وعـدم الإيمان والاسـتهـزاء بالدين وأهله والسخـرية منهم والميل بالكليـة إلى أعـداء الدين لمشاركـتهم لهم في عـداوة الإسلام، وهؤلاء موجودون في كل زمان ولا سـيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعـون مقاومته في الظاهر فإنهم يـظهرون الدخول فـيه لأجل الكيد له ولأهله في البـاطن، ولأجل أن يعيـشوا مع المسلمين ويأمنوا على دمائهم وأمـوالهم، فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائـكته وكتبه ورسله والـيوم الآخر، وهو في البـاطن منسلخ من ذلـك كله مكذب به، لا يؤمن بالله، ولا أن الله تكلم بـكلام أنزله على بشـر جـعله رسولاً للناس يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه.

---

(١) النهاية لابن الأثير (٥/٩٨) بمعناه.
(٢) الآية (٦٧) من سورة التوبة.
(٣) الآية (١٤٥) من سورة النساء.
(٤) الآية (١٤٢) من سورة النساء.
(٥) الآية (١٠) من سورة البقرة.

وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن الكريم وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاث في أول البقرة، المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله. فإن بلية الإسلام بهم شديدةٌ جداً، لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد[1].

من أنواع النفاق الاعتقادي[2]:

١ - تكذيب الرسول ﷺ.

٢ - تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣ - بغض الرسول ﷺ.

٤ - بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥ - المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٦ - الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

النوع الثاني: النفاق العملي وهو النفاق الأصغر-وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب. وهذا لا يخرج من الملة - لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق وإذا كثر صار بسببه منافقاً خالصاً والدليل عليه قوله -ﷺ-: **(أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)**[3] فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر وخصال إيمان وخصال كفر ونفاق.

ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك، ومنه التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد خاصة صلاة العشاء والفجر فإنه من صفات المنافقين، فالنفاق شر وخطير جداً وكان الصحابة يتخوفون الوقوع فيه، قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله -ﷺ- كلهم يخاف النفاق على نفسه.

الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

١- أن النفاق الأكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة ولا يخلد صاحبه في النار.

٢- أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

---

(١) انظر مدارج السالكين ج١ ص٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) مجموعة التوحيد النجدية صفحة (٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ج١ ص١٤ ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال النفاق حديث رقم ٥٨ ص٧٨.

٣ - أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من مؤمن.

٤- أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم، بخلاف النفاق الأصغر فإن صاحبه يتوب إلى الله في الغالب فيتوب الله عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكثيراً ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه، قد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه).

والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قال الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأنْ يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: **(ذلك صريح الإيمان)** وفي رواية: ما يتعاظم أن يتكلم به. قال: **(الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)**[١] أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان - انتهى[٢].

وأما أهل النفاق الأكبر فقد قال الله فيهم: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[٣] أي إلى الإسلام في الباطن وقال تعالى فيهم:

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر لكون ذلك لا يعلم إذ هم دائماً يظهرون الإسلام)[٥].

---

(١) الحديث في مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: (وقد وجدتموه) قالوا: نعم، قال: (ذاك صريح الإيمان) كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها حديث رقم ١٣٢ ص١١٩ وفي سنن أبي داود بسند صحيح عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه - يُعَرِّض بالشيء- لأن يكون حُمَمَةً أحب إليه من أن يتكلم به، فقال: (الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة) كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة. وانظر المسند ج٢ ص٣٩٧، ٤٤١، ٤٥٦.

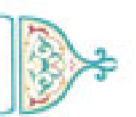
(٢) انظر كتاب الإيمان صفحة ٢٣٨.

(٣) الآية (١٨) من سورة البقرة.

(٤) الآية (١٢٦) من سورة التوبة.

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٤-٤٣٥).



الأسئلة

س١: عرف النفاق لغة وشرعاً.

س٢: ما أنواع النفاق؟ وأي الأنواع المخرج من الملة؟

س٣: أيهما أشد خطراً على الدين الكفار أم المنافقون؟ ولماذا؟

س٤: بيّن النفاق الاعتقادي والعملي في الصور التالية:

(أ) تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

(ب) التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد.

(جـ) الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

(د) الكذب في الحديث.

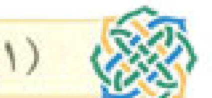
(هـ) الفجور في المخاصمة.

(و) المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

س٥: اذكر الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر.



الجاهليـــة



(١) تعريفـــــها:

نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق فهو جاهل أيضاً.**

والمراد بها عند الإطلاق هي الحال التي كانت عليهـا العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك[١] فقد كان الناس قبل بعث الرسول ﷺ في جاهلية منسوبة إلى الجهل. فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل.



أقســام الجاهـليـة:

تنقسم الجاهلية إلى قسمين:

(أ) الجاهلية المطلقة: وهي ما كان قبل مبعث الرسول ﷺ وقد انتهت ببعثته، ويدخل فيها كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية ونصرانية، ولهذا لا يطلق على زمان بعد مبعث محمد ﷺ أنه جاهلية.

(ب) الجاهلية المقيدة: وهي مقيدة ببعض البلدان وبعض الأشخاص وبعض الدول وهذه لا تزال باقية فتكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام. والجاهلية المقيَّدة قد توجد في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال ﷺ: **(أربع في أمتي من أمر الجاهلية)**[٢] وقال لأبي ذر: **(إنك امرؤ فيك جاهلية)**[٣] ونحو ذلك[٤].

وأما التعميم فلا يصح ولا يجوز؛ لأنه ببعثة النبي ﷺ زالت الجاهلية العامة فقد استفاضت الأدلة أنه لا تزال من هذه الأمة طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة.

---

(١) النهاية لابن الأثير (١/ ٣٢٣).

(٢) رواه مسلم كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة حديث رقم ٩٣٤ عن أبي مالك الأشعري.

(٣) من حديث طويل في الصحيحين البخاري كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ج١ ص١٣، ومسلم كتاب الإيمان باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه حديث رقم ١٦٦١ ص ١٢٨٢.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٢٥-٢٢٧) تحقيق الدكتور ناصر العقل.

وبهذا يتضح خطأ من يعـممون الجاهلية في هذا الزمـان فيقولون: جاهلية هذا القـرن وما شابه ذلك، والصواب أن يقال جاهلية بعض أهل هذا القرن أوغالب أهل هذا القرن.

الأسئلة

س١: عرف الجاهلية، وما المراد بها عند الإطلاق؟

س٢: ما أقسام الجاهلية؟

س٣: هل يجوز تعميم الجاهلية؟ ولماذا؟

س٤: ما رأيك في استخدام عبارة جاهلية القرن العشرين؟

الفصل السابع

الفســـق



تعريفـــــه:

الفسق لغة: الخروج.

والمراد به شرعاً: الخروج عن طاعة الله. وهو يشمل الخروج الكلي فيقال للكافر فاسق، والخروج الجزئي فيقال للمؤمن المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب فاسق.

أنـــواعـــه:

الفسق نوعان:

١ - فسق ينقل عن الملة: وهو الكفر، فيسمى الكافر فاسقاً، فقد ذكر الله إبليس فقال: ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[١] وكان ذلك الفسق منه كفراً. وقال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[٢] يريد الكفار، دل على ذلك قوله:

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[٢].

٢ - فسق لا يُخرج من الملة: وهو المعصية، فيسمى العاصي من المسلمين فاسقاً ولم يخرجه فسقه من الإسلام قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[٤].

قال العلماء في تفسير الفسوق هنا: هو المعاصي[٥].

الأسئلة

س١: عرف الفسق لغة وشرعاً.

س٢: ما أنواع الفسق، مع الاستدلال على ذلك؟

(١) الآية (٥٠) من سورة الكهف.

(٢) الآية (٢٠) من سورة السجدة.

(٣) الآية (٤) من سورة النور.

(٤) الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

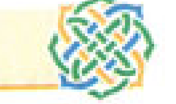
(٥) انظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٧٨.

الفصل الثامن

الضـــلال

الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، وهو ضد الهداية قال تعالى:

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[1].



إطـلاقـاتـه:

الضلال يطلق على عدة معاني:

١- فتارة يطلق على الكفر، قال تعالى:

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[2].

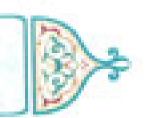
٢- وتارة يطلق على الشرك، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[3].

٣- وتارة يطلق على المخالفة التي هي دون الكفر، كما يقال: الفرق الضالة أي المخالفة.

٤- وتارة يطلق على الخطأ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾[4].

٥- وتارة يطلق على النسيان ومنه قوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[5].

٦- ويطلق الضلال على الضياع والغَيْبة ومنه: ضالة الإبل[6].



الأسئلة

س: ما المراد بالضلال في النصوص التالية:

(أ) قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾.

(ب) قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾.

(جـ) قال تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾.

(د) قال تعالى: ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

---

(١) الآية (١٥) من سورة الإسراء.
(٢) الآية (١٣٦) من سورة النساء.
(٣) الآية (١١٦) من سورة النساء.
(٤) الآية (٢٦) من سورة القلم.
(٥) الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.
(٦) انظر كتاب المفردات للراغب ص٢٩٧ ـ ٢٩٨.

الفصل التاسع: الردة - تعريفها - أنواعها - أحكامها

تعريفها:

الردة لغة: الرجوع قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾[1] أي لا ترجعوا.

والردة في الاصطلاح الشرعي: هي الكفر بعد الإسلام - قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2].

أنواعها:

الردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام كثيرة ترجع إلى أربعة أنواع هي:

١- **الردة بالقول:** كَسَبِّ الله تعالى أو رسوله ﷺ أو ملائكته أو أحد من رسله، أو ادعاء علم الغيب أو ادعاء النبوة أو تصديق من يدعيها، أو دعاء غير الله أو الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله أو الاستعاذة به في ذلك.

٢- **الردة بالفعل:** كالسجود للصنم والشجر والحجر والقبور والذبح لها، وإلقاء المصحف في المواطن القذرة وعمل السحر وتعلمه وتعليمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقداً حِلَّه.

٣- **الردة بالاعتقاد:** كاعتقاد الشريك لله، أو أن الزنا والخمر والربا حلال، أو أن الخبز حرام أو أن الصلاة غير واجبة أو جواز الحكم بغير ما أنزل الله ونحو ذلك مما أجمع على حله أو حرمته أو وجوبه إجماعاً قطعياً ومثله لا يجهله.

٤- **الردة بالشك** في شيء مما سبق كمن شك في تحريم الشرك أو تحريم الزنا والخمر، أو في حل الخبز أو شك في رسالة النبي ﷺ أو رسالة غيره من الأنبياء أو في صدقه أو في دين الإسلام أو في صلاحيته لهذا الزمان.

أحكام الرِّدَّة:

يترتب على الرِّدَّة بعد ثبوتها أحكام هي:

١- استتابة المرتد، فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قُبِل منه ذلك وتُرِك.

---

(١) الآية (٢١) من سورة المائدة.

(٢) الآية (٢١٧) من سورة البقرة.



٢ - إذا أبى أن يتوب وجب قتله؛ لقوله ﷺ : (من بَدَّل دينه فاقتلوه)[١]

٣ - يمنع من التصرف في ماله مدة استتابته فإن أسلم فهو له، وإلا صار فيئاً لبيت المال من حين قتله أو موته على الردة، وقيل من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

٤ - يفرق بينه وبين زوجته المسلمة فإنها لا تحل له.

٥ - انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه فلا يرثهم ولا يرثونه.

٦ - إذا مات أو قتل على ردته فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وإنما يدفن في مقابر الكفار أو يوارى في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين.

التكفيـــــر:

التكفير هو الحكم على شخص بأنه كافر.

أحوال الناس في الحكم عليهم: الإنسان، إما أن يكون كافراً أصلياً كاليهود والنصارى والوثنيين وتكفير هؤلاء واجب بل إن من لم يكفرهم أو شك في كفرهم فهو كافر، وإما أن يكون مسلماً فهذا لا يجوز تكفيره إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

خطورة تكفير المسلم: تكفير المسلم أمر عظيم وخطير لا يجوز الإقدام عليه إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٢].

وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»[٣]

وعن أسامة رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبَّحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته، قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب لا يعذب بعذاب الله برقم(١٧ - ٣)، وكتاب استتابة المرتدين باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم برقم(٦٩٢٢).
(٢) سورة النساء آية ٩٤.
(٣) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب «فإن تابوا وأقاموا الصلاة» ١/ ١١ ومسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/ ٥١/ح ٣٦ كلاهما عن ابن عمر.

أقالها أم لا؟! فما زال يكررها عَلَيَّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ»[1]، فأجرى ﷺ أمرهم في هذه الدنيا على الظاهر وهو ما أقروا به من الإسلام، وهذا هو الأصل بقاء المسلم على إسلامه حتى يأتي ما ينقله عنه ببرهان صحيح، وقد ورد في السنة التشديد في تكفير المسلم لأخيه المسلم قال ﷺ: **(إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)**[2].

التكفير حق لله: فلا نكفر إلا مَن كفّره الله ورسوله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله»[3].

أنواع التكفير:

للتكفير أنواع ثلاثة؛ تكفير بالعموم، وتكفير أوصاف، وتكفير أشخاص وسنعرض لهذه الأنواع بالتفصيل التالي:

(أ) **التكفير بالعموم**: ومعناه تكفير الناس كلهم عالمهم وجاهلهم من قامت عليه الحجة ومن لم تقم. وهذه طريقة أهل البدع وقد برأ الله أهل السنة منها[4].

(ب) **تكفير أوصاف**: وهذا كقول أهل العلم في كتب العقائد في باب الردة من كتب الفقه: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر، ومن سب الله أو رسوله ﷺ كفر، ومن كذب بالبعث كفر.

وإطلاق أهل العلم هذا يقصدون به أن هذا الفعل كفر يخرج من الإسلام أما صاحبه فلا يكفرونه حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع، فليس من لازم كون الفعل كفراً أن يكون فاعله كافراً.

(جـ) **تكفير أشخاص (تكفير المعين)**: والمقصود به الحكم على الشخص الذي وقع في أمر يخرج من الملة بالكفر.

ومذهب أهل السنة والجماعة في ذلك وسط بين من يقول: لا نكفر أحداً من المسلمين ولو ارتكب ما ارتكب من نواقض الإسلام.. وبين من يكفر المسلم بكل ذنب دون النظر إلى أن هذا الذنب مما يكفر به

---

(١) رواه البخاري في كتاب الديات، باب قول الله تعالى، «ومن أحياها...» ٨/ ٣٥ ومسلم كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد قول لا إله إلا الله ١/ ٩٦ ح ١٥٨ واللفظ له، وانظر معنى الحديث في مجموع الفتاوى ٣/ ٢٨٤.

(٢) رواه البخاري كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ٧/ ٩٦ ح٦١٠٣، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر ١/ ٧٩ ح ٦٠ واللفظ للبخاري، وحكم من قال ذلك: إن كان من قيلت له الكلمة مستحقاً لها فهو كافر، وإن كان غير مستحق لها وكان قائلها عالما بأن أخاه لم يرتكب أمراً يخرج من الملة فأطلق عليه الكفر من غير علم، بل عداءً للإسلام وأهله فيكفر بقوله ذلك لأخيه، وإن كان أطلق عليه لسانه بالتكفير لمجرد عداوة أو هوى أو لمخالفة في المذهب كما يقع لكثير من الجهال فهذا من الخطأ البين وصاحبه آثم بذلك. انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ٤٣٦ - ٤٣٧ وفتح الباري ١٠/ ٤٦٦ ونواقض الإيمان الاعتقادية ١/ ٢١٠-٢١٠.

(٣) الرد على البكري ص ٢٥٧-٢٥٨ وانظر القواعد المثلى لابن عثيمين ص ٨٧.

(٤) انظر في نقد هذا القول مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١٢/ ٥٨ ومنهاج الحق والاتباع لسليمان بن سحمان ص ٥٨.

فاعله أم لا ودون النظر إلى توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه.

شـروط التكفيـر:

يشترط للتكفير شرطان:

أحدهما : أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر به فاعله.

الثانـــي : انطباق الحكم على من فعل ذلك بحيث يكون عالماً بذلك قاصداً له مختاراً، فإن كان جاهلاً أو متأولاً أو مخطئاً أو مكرهاً[1] فقد قام به مانع من موانع التكفير فلا يكفر على حسب التفصيل الآتي في موانع التكفير.

موانـع التكفيـر:

(أ) الجهل: والجهل يكون مانعاً من موانع التكفير في حالات دون حالات وإليك تفصيل ذلك فيما يأتي:

١ - من كان حديث عهد بالإسلام أو من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان فأنكر شيئاً مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالصلاة أو تحريم شرب الخمر[2] وكذا من نشأ في بلاد يكثر فيها الشرك ولا يوجد من ينكر عليهم ما يقعون فيه من الشرك فلا يكفرون إلا بعد أن تقام عليهم الحجة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: بعد أن ذكر بعض أنواع الشرك (... وإن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه)[3] وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب (... وإذ كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبدالقادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم)[4].

٢ - من أنكر الأمور المعلومة من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم شرب الخمر مع كونه في دارِ إسلامٍ وعِلْمٍ، ولم يكن حديثَ عهدٍ بإسلام فإنه يكفرَ بمجرد ذلك[5].

٣ - هناك أحكام ظاهرة متواترة مجمع عليها ومسائل خفية غير ظاهرة لا تعرف إلا من طريق الخاصة من أهل العلم كإرث بنت الابن السدس مع بنت وارثة النصف تكملة للثلثين.

---

(١) انظر مجموع فتاوي ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ٣/١٦-١٧ الطبعة الأولى.

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ١١/٤٠٧ و٧/٦٠٠، ٦١٩ و٣٥/١٦٥.

(٣) الرد على البكري ص ٣٧٦.

(٤) فتاوي ومسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص١١، ضمن مؤلفات الشيخ القسم الثالث.

(٥) نواقض الإيمان الاعتقادية ١/٢٤٢.



فمن أنكر شيئاً من هذه الأحكام من العامة فلا يكفر إلا بعد أن تبين له ثم يصر على إنكاره، أما من أنكرها من أهل العلم فيكفر إذا كان مثله لا يجهلها[1].

(ب) **الخطأ:** بأن يعمل عملاً أو يعتقد اعتقاداً يكون مخالفاً للإسلام كمن حكم بغير ما أنزل الله مخطئاً وهو يريد أن يحكم بما أنزل الله أو فعل شيئاً من الشرك يظنه جائزاً أو أنكر شيئاً من الدين ظاناً أنه ليس منه والدليل قوله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة)[3].

(جـ) **التأويل:** وهو صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالفه لدليل منفصل، وهو قسمان:

القسم الأول: قسم يعذر صاحبه بتأويله، وهو ما كان مبنياً على شبهة، بأن كان له وجه من لغة العرب، وخلصت نية صاحبه كمن تأول في صفات الله تعالى. وكان تأويله مبنياً على شبهة وخلصت نية صاحبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن سبب عدم تكفير الإمام أحمد وغيره لمن قال بخلق القرآن بعينه: (إن التكفير له شروط وموانع وقد تنتفي في حق المعين وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه)[4].

وقال في موضع آخر عن نفس المسألة: (فالإمام أحمد رحمه الله ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنه لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطؤوا وقلدوا من قال ذلك لهم)[5].

والقسم الثاني: تأويل لا يعذر أصحابه كتأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممن حقيقة أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلاً أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به كتأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها. فهذا كفر مخرج عن الإسلام.

(د) **الإكراه:** من أُكرِه على الكفر بأن ضُرِب وعُذِّب، بأن يرتد عن دينه أو يسب الإسلام.. أو هُدِّد

---

(١) انظر نواقض الإيمان الاعتقادية ١/ ٢٤١-٢٤٢.

(٢) رواه البخاري كتاب الاعتصام بالسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٨/ ١٥٧ ومسلم كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٣/ ١٣٤٢ ح١٧١٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٦٦ وانظر ١٢/ ١٨٠ و٥٢٣-٥٢٤.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢/ ٤٨٧-٤٨٩.

(٥) المسائل الماردينية ص ١٢٥.

بالقتل والمهدِّد قادر على فعل ما هدَّد به، فكفر ظاهراً مع اطمئنان قلبه بالإيمان فهذا معذور ولا يكفر بفعله ذلك، قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[1].

كيفية إقامة الحجة:

لا يحكم على معين بالكفر إلا بعد إقامة الحجة عليه وإصراره على الكفر الذي وقع منه، وإقامة الحجة يختلف من بلد إلى آخر ومن زمان إلى آخر ومن شخص إلى آخر ومن كونه كلاماً نظرياً إلى تطبيق على شخص معين ويتلخص ذلك: ببلوغ الحجة للمعين وثبوتها، وتمكنه من معرفتها وكل ذلك لا يتم إلا بوجود من يحسن إقامة الحجة[2]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (... وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنًا ما كان)[3]. وقال الشيخ سليمان بن سحمان: (الذي يظهر لي والله أعلم أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة)[4][5].

الأسئلة

س١: عرف الردة في اللغة والاصطلاح.

س٢: بين أنواع الردة في الصور التالية:

(أ) ادعاء علم الغيب.

(ب) سب الله ورسوله والملائكة.

(جـ) إلقاء المصحف في المواطن القذرة.

(د) اعتقاد أن الربا حلال.

(هـ) السجود للصنم.

(و) تعلم السحر.

(ز) الشك في رسالة النبي ﷺ.

س٣: اذكر أحكام الردة التي تترتب عليها بعد ثبوتها.

س٤: عرف التكفير، وما أحوال الناس في الحكم عليهم؟

س٥: ما خطورة تكفير المسلم؟

س٦: ما أنواع التكفير؟ وما شروطه؟

س٧: اذكر موانع التكفير، وما كيفية إقامة الحجة على المعين؟

---

(١) سورة النحل آية ١٠٦. (٢) انظر نواقض الإيمان الاعتقادية ١/ ٢٤٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٣٤٦ ومثله ٣/ ٢٣١ و ٢٠/ ٥٩. (٤) منهاج الحق والاتباع ص٦٨.

(٥) انظر نصوصاً أخرى للعلماء في كتاب نواقض الإيمان الاعتقادية ١/ ٢٤٣ و٢٧٨-٢٨٢.

الباب الثاني

أقوال وأفعال تنافي التوحيد أو تنقصه

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول	:	شرك الخوف.
الفصل الثاني	:	شرك المحبة.
الفصل الثالث	:	شرك التوكل.
الفصل الرابع	:	ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما.
الفصل الخامس	:	الاستسقاء بالأنواء.
الفصل السادس	:	نسبة النعم إلى غير الله.
الفصل السابع	:	السحر والكهانة والعرافة.
الفصل الثامن	:	الرقى والتمائم.
الفصل التاسع	:	الطيرة
الفصل العاشر	:	تقديم القرابين والنذور والهدايا للمزارات والقبور.
الفصل الحادي عشر	:	تعظيم التماثيل والنصب التذكارية.
الفصل الثاني عشر	:	الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته.
الفصل الثالث عشر	:	ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم
الفصل الرابع عشر	:	الحكم بغير ما أنزل الله.
الفصل الخامس عشر	:	الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب الجاهلية.
الفصل السادس عشر	:	النظرة المادية للحياة.
الفصل السابع عشر	:	الحلف بغير الله والتوسل والاستعانة بالمخلوق.
الفصل الثامن عشر	:	سوء الظن بالله.
الفصل التاسع عشر	:	سب الدهر والريح.
الفصل العشرون	:	قول (لو) في بعض الحالات.



شرك الخوف

الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[2] وأمثالها من الآيات.

أقسام الخوف:

الخوف ثلاثة أقسام:

١ - خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر. وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه، فمن أشرك مع الله غيره فهو مشرك شركاً أكبر، كمن يخاف من الأصنام أو الأموات ويعتقد ضرهم ونفعهم كحال بعض عباد القبور ونحوها من الأوثان، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله.

٢ - أن يخاف من شيء لا يؤثر عليه، ويحمله هذا الخوف على ترك واجب أو فعل محرم فهذا الخوف محرم، والواجب عليه أن لا يتأثر به. مثل ما لو هدده إنسان على فعل محرم فخافه، وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدده به، فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر.

وهذا الخوف نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سبب نزول قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3].

ومعنى قول تعالى: ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ أي: يخوفكم أولياءه ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى، فلا يخافون غيره. وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده، ورضيه منهم.

قال العلامة ابن القيم: ومن كيد عدو الله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه.

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الأنبياء. (٣) الآيات ١٧٣-١٧٥ من سورة آل عمران.
(٢) الآية ٤٤ من سورة المائدة.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم. فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم، فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان[1].

٣- **الخوف الطبيعي**: وهو الخوف من عدو أو سَبُع أو غير ذلك، فهذا في الأصل مباح؛ لقوله تعالى عن موسى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[2].

وهذا النوع لا ينافي الإيمان، وإذا كان خوفاً محققاً قد انعقدت أسبابه فليس بمذموم. أما إذا كان خوفاً وهمياً ليس له سبب أصلاً أو له سبب ضعيف فهذا مذموم، يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن. والإيمان التام والتوكل على الله يدفع هذا النوع، وتنقلب المخاوف في حق خواص المؤمنين أمناً وطمأنينة لقوة إيمانهم وكمال توكلهم.

ويجب أن نعلم أن الخوف من الله سبحانه يجب أن يكون مقروناً بالرجاء والمحبة بحيث لا يكون خوفاً باعثاً على القنوط من رحمة الله عز وجل، فالمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، بحيث لا يذهب مع الخوف فقط حتى يقنط من رحمة الله، ولا يذهب مع الرجاء فقط حتى يأمن مكر الله؛ لأن القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله ينافيان التوحيد، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾[4].

والخوف والرجاء إذا اجتمعا دفعا العبد إلى العمل وفعل الأسباب النافعة فإنه مع الرجاء يعمل الطاعات رجاء ثوابها، ومع الخوف يترك المعاصي خوف عقابها، أما إذا يئس من رحمة الله؛ فإنه يتوقف عن العمل الصالح، وإذا أمن من عذاب الله وعقوبته؛ فإنه يندفع إلى فعل المعاصي.



الأسئلة

س١: بيِّن من أي أنواع الخوف ما يلي:-

(أ) رجل خاف إن لم يذبح لصاحب القبر أن يؤذيه. (ب) رجل ترك الأمر بالمعروف خوفاً من كلام الناس.

(جـ) رجل لقي أسداً فهرب منه. (د) رجل ترك الجهاد خوفاً من قوة الكفار وكثرتهم.

س٢: ما الذي يجب أن يقترن مع الخوف من الله؟ وضح ذلك مع التعليل.

س٣: ما أثر الخوف من الله تعالى على المسلم؟ وما الفائدة من الجمع بين الخوف والرجاء؟

س٤: ما المراد بالخوف الوهمي، وبم يكون علاجه؟

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/ ١٣٠.
(٢) الآية ٢١ من سورة القصص.
(٣) الآية ٩٩ من سورة الأعراف.
(٤) الآية ٥٦ من سورة الحجر.



الفصل الثاني: شرك المحبة

أصل الأعمال كلها هو المحبة فالإنسان لا يعمل إلا لما يحب؛ إما لجلب منفعة، أو لدفع مضرة، فإذا عمل شيئاً؛ فلأنه يحبه إما لذاته كالطعام أو لأنه يوصل إلى المحبوب كالدواء.

وعبادة الله مبنية على المحبة بل هي حقيقة العبادة؛ إذا لو تعبد المرء بدون محبة صارت عبادته قشراً لا روح فيها، فإذا كان الإنسان في قلبه محبة لله وللوصول إلى جنته؛ فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك.

ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم توصلت بهم هذه المحبة إلى أن عبدوها من دون الله أو مع الله.



أقسام المحبة:

المحبة قسمان:

القسم الأول: محبة عبادة وهي التي توجب التذلل والتعظيم، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أن يمتثل أمره ويجتنب نهيه، وهذه خاصة بالله، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة؛ فهو مشرك شركاً أكبر. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1] أي: يحبون هذه الأنداد كمحبة الله فيجعلونها شركاء لله في المحبة. وقال تعالى حاكياً عن المشركين:

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها وهذه أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله؛ أي: كون الشيء محبوباً لله من أشخاص؛ كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين. أو أعمال، كالصلاة والزكاة، وغير ذلك.

النوع الثاني: محبة إشفاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد، والصغار، والمرضى.

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة، كمحبة الإنسان لوالده، ولمعلمه.

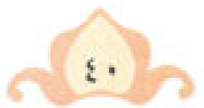
النوع الرابع: محبة طبيعية، كمحبة الطعام، والشراب، والملبس، والمركب، والمسكن.

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول وبقيتها من القسم المباح، إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة؛

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٥.

(٢) سورة الشعراء آية ٩٧-٩٨.



فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب من أجل أن يقوم ببر والده صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة، وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله في إصلاح هذا الولد صارت عبادة. وكذلك المحبة الطبيعية، كالمأكل والمشرب والملبس إذا قصد بها الاستعانة على عبادة الله صارت عبادة.

ولكن لا بد أن تكون محبة الله التي هي محبة العبودية مقدمة على المحبة التي ليست عبودية كمحبة الآباء والأولاد والأموال، وقد توعد الله من قدم هذه المحبة على محبة الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]

وهذا الوعيد في الآية ليس لمجرد حب هذه الأشياء لأن هذا شيء جبل عليه الإنسان وإنما توعد سبحانه من قدم محبتها على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه الله ورسوله. فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده.

علامات محبة الله:

منها: أن من أحب الله تعالى فإنه يقدم ما يحبه الله من الأعمال على ما تحبه نفسه من الشهوات والملذات والأموال والأولاد والأوطان.

ومنها: أن من أحب الله تعالى؛ فإنه يتبع رسوله ﷺ فيما جاء به فيفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

ومنها: الذلة والخضوع والرحمة للمؤمنين.

ومنها: العزة على الكافرين بأن يظهروا لهم الغلظة والشدة والترفع عليهم ولا يظهرون لهم الخضوع والخوف.

ومنها: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد والمال واللسان لإعلاء دين الله وقمع أعدائه.

ومنها: أنهم لا تأخذهم لومة لائم على ما يبذلونه من أموالهم وأنفسهم لنصرة دين الله.

ودليل هذه الأربع قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]

---

(١) سورة التوبة آية ٢٤. (٢) الآية ٣١ من سورة آل عمران. (٣) الآية ٥٤ من سورة المائدة.

والأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى عشرة أشياء ذكرها ابن القيم رحمه الله[1]، وهي:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب والعمل.

الرابع: إيثار ما يحبه الله على ما يحبه العبد عند تزاحم المحبتين.

الخامس: التأمل في أسماء الله وصفاته وما تدل عليه من الكمال والجلال، وما لها من الآثار الحميدة.

السادس: التأمل في نعم الله الظاهرة والباطنة ومشاهدة بره وإحسانه وإنعامه على عباده.

السابع: انكسار القلب بين يدي الله وافتقاره إليه.

الثامن: الخلوة بالله وقت النزول الإلهي حين يبقى ثلث الليل الآخر، وتلاوة القرآن في هذا الوقت، وختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة أهل الخير والصلاح المحبين لله عز وجل والاستفادة من كلامهم.

العاشر: الابتعاد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشواغل.



الأسئلة

س١: ما المحبة التي هي حقيقة العبادة؟

س٢: هل محبة الوالد والخضوع له تعتبر عبادة له؟ وضح ذلك.

س٣: هل محبة الأولاد مذمومة أو ممدوحة؟ وضح ذلك.

س٤: اختر -مما يلي- ما يعتبر علامة على صدق محبة الله تعالى:

(أ) محبة سماع القرآن، وبغض سماع الغناء. (ب) العزة على الكافرين، والخضوع للمؤمنين.

(جـ) ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للوم بعض الناس له.

س٥: اذكر أربعة أسباب ترى أنها تزيدك محبة لله تعالى.

---

(١) انظر مدارج السالكين ٣/٩، ١٦-١٨.



الفصل الثالث

شرك التوكل

التوكل لغة: الاعتماد والتفويض. وهو من عمل القلب، يقال: توكل في الأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان إذا اعتمدت عليه.

والتوكل على الله من أعظم أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله، قال تعالى:

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1] فأمر الله سبحانه بالتوكل عليه وحده، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وجعل التوكل عليه شرطاً في الإيمان، كما جعله شرطاً في الإسلام في قوله تعالى:

﴿ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾[2] فدلَّ على انتفاء الإيمان والإسلام عمن لم يتوكل على الله أو توكل على غيره فيما لا يقدر عليه إلاهو.

والتوكل أجمع أنواع العبادة وأعلى مقامات التوحيد وأجلها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة.

وقد جعل الله التوكل عليه من أبرز صفات المؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[3]. أي: يعتمدون عليه بقلوبهم فلا يرجون سواه، وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان عند سماع القرآن، والتوكل على الله وحده.

والتوكل على الله سبحانه لا ينافي السعي في الأسباب والأخذ بها؛ فإن الله سبحانه وتعالى قدَّر مقدورات مربوطة بأسباب، وقد أمر الله تبارك وتعالى بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل؛ فالأخذ بالأسباب طاعة لله؛ لأن الله أمر بذلك، وهو من عمل الجوارح، والتوكل من عمل القلب وهو إيمان بالله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾[4]، وقال تعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾[5].

التوكل على غير الله تعالى:

التوكل على غير الله تعالى قسمان:

١ - التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله؛ كالتوكل على الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت في تحقيق النصر والحفظ أو الرزق أو الشفاعة، فهذا شرك أكبر.

(١) الآية ٢٣ من سورة المائدة. (٢) الآية ٨٤ من سورة يونس. (٣) الآية ٢ من سورة الأنفال. (٤) الآية ٧١ من سورة النساء. (٥) الآية ١٠ من سورة الجمعة.

٢ - التوكل في الأسباب الظاهرة؛ كمن يتوكل على أمير أو سلطان أو أي شخص حي قادر فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر.

أما الوكالة الجائزة: فهي إنابة الإنسان من يقوم بعمل عنه مما يقدر عليه؛ كبيع وشراء، ولكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكله فيه، بل يتوكل على الله في تيسير أموره التي يطلبها بنفسه أو نائبه. لأن توكيل الشخص في تحصيل الأمور الجائزة من جملة الأسباب، والأسباب لا يعتمد عليها وإنما يعتمد على الله سبحانه الذي أوجد السبب والمُسبِّب.

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴾[1] ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل؛ لأن الإنسان لو وُكِلَ إلى نفسه وُكِلَ إلى ضعف وعجز، ولم يتمكن من القيام بالعبادة. ولهذا نقول في صلاتنا: «**إياك نعبد وإياك نستعين**» فنطلب من الله العون اعتماداً عليه سبحانه بأنه سيعيننا على عبادته.

ومتى استدام العبد العلم بأن الأمر كله لله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم اعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ووثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه مع بذل جهده في فعل الأسباب النافعة فهو المتوكل حقيقة وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وُكِلَ إليه وخاب أمله.

الأسئلة

س١: بين حكم ما يلي مع الدليل والتعليل.

(أ) التوكل على الله في النصر على الأعداء.

(ب) التوكل على ميت في أن يرزقه أولاداً.

(جـ) رجل يقول: لن يقدر أحد على إيذائي، فالأمير يحميني من كل أذى.

(د) رجل يقول: لن أجوع والأمير متكفل برزقي.

(هـ) رجل وكَّل آخر في أن يقبض ما له من حقوق عند شخص آخر.

س٢: ما علاقة الإيمان بالتوكل؟

س٣: رجل قيل له: لماذا لا تعمل وتتكسب؟ فقال: أنا متوكل على الله، ورزقي سيأتيني في بيتي ولو لم أعمل. ناقش هذا القول مع ذكر الدليل والتعليل.

س٤: متى يكون الإنسان متوكلاً حقيقة ومستحقاً لكفاية الله؟

---

(١) الآية ١٢٣ من سورة هود.

الفصل الرابع: ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما

المراد بالغيب:

ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلية والماضية وما لا يرونه بالأبصار، وقد اختص الله بعلمه، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[1]. فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده، وقد يطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[2]. أي لا يُطْلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يستدل على نبوته بالمعجزات التي منها الإخبار عن الغيب الذي يطلعه الله عليه، وهذا يعم الرسول من الملائكة ومن البشر ولا يطَّلع عليه غيرهم لدليل الحصر.

حكم ادعاء علم الغيب:

من ادعى علم الغيب بأي وسيله من الوسائل غير من استثناه الله من رسله فهو كاذب كافر.

صور ادعاء علم الغيب:

ادعاء الغيب قد يكون بواسطة قراءة الكف أو الفنجان أو الكهانة أو السحر أو التنجيم أو غير ذلك وهذا الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين من الإخبار عن مكان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة وعن أسباب بعض الأمراض، فيقولون: فلان عمل لك كذا وكذا فمرضت بسببه، وإنما هو نتيجة لاستخدام الجن والشياطين، ويظهرون للناس أن هذا يحصل لهم عن طريق عمل هذه الأشياء من باب الخداع والتلبيس، وقد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم.

تعريف التنجيم:

وهو الاستدلال بأحوال النجوم على الحوادث الأرضية، فيقولون: من تزوج في نجم كذا وكذا حصل له كذا وكذا، ومن سافر في نجم كذا حصل له كذا، ومن وُلِدَ في نجم كذا وكذا حصل له كذا من السعود أو النحوس كما يعلن في بعض المجلات من الخزعبلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ.

---

(١) الآية ٦٥ من سورة النمل.

(٢) الآيتان (٢٦-٢٧) من سورة الجن.



وقد يذهب بعض الجهال وضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمين فيسألهم عن مستقبل حياته وما يجري عليه فيه وعن زواجه وغير ذلك، ومن ادعى علم الغيب أو صدق من يدَّعيه فهو مشرك كافر، لأنه يدعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه. والنجوم مسخرة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء ولا تدل على نحوس ولا سعود ولا موت ولاحياة. وليس من علم التنجيم المحرم تَعَلُّمُ منازل الشمس والقمر ومعرفة النجوم للاستدلال بذلك على جهة القبلة وأوقات الصلوات والفصول، قال تعالى:

﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾[2]



س١: ما المراد بالغيب؟ وما الدليل على اختصاص الله تعالى به؟

س٢: من الذي يطلعه الله على شيء من الغيب؟ وما الحكمة في ذلك؟

س٣: ما سبب إخبار الكهان عن بعض المغيبات؟

س٤: عرف التنجيم، وما حكمه؟ مع التعليل.

س٥: بين حكم ما يأتي:

(أ) ذهاب بعض الناس إلى المنجمين ليسألوهم عن مستقبل حياتهم.

(ب) تعلم بعض الناس منازل الشمس والقمر لمعرفة جهة القبلة.

(جـ) تعلم بعض الناس منازل النجوم لمعرفة الفصول.

(د) الإعلان في بعض المجلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ.

---

(١) الآية (١٦) من سورة النحل. (٢) الآية (٩٧) من سورة الأنعام.

الفصل الخامس الاستسقاء بالأنواء

الأنواء هي: النجوم:

ومعنى الاستسقاء بالأنواء: نسبة نزول المطر إلى طلوع النجم أو غروبه. وهذا على ما كانت تعتقده الجاهلية من أن طلوع النجم أو مغيبه يؤثر في إنزال المطر، فيقولون: مُطِرنا بِنَوءِ كذا وكذا، وهم يريدون بذلك النجم، ويعبرون عنه بالنوء وهو طلوع النجم من ناء ينوء إذا طلع.

وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزْمِنَةِ السنة كلها وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط-يغيب- في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته. وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منها [1].

وقد جاء الإسلام بإبطال هذا الزعم والنهي عنه فنزول المطر وانحباسه راجع إلى إرادة الله وتقديره وحكمته، وليس لطلوع النجوم تأثير في ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[2].

ويفسر هذه الآية ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مُطِرَ الناسُ على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: أصبح من الناس شاكرٌ ومنهم كافرٌ. قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾، حتى بلغ:

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[3].

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»[4].

---

(١) انظر شرح النووي على مسلم ٢/ ٨٠-٨١. (٢) الآية (٨٢) من سورة الواقعة.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، حديث رقم ١٢٧.

(٤) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ حديث رقم (١٠٣٨) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، حديث رقم ١٢٥.

ففي هذا تحريم نسبة أفعال الله إلى غيره وأن ذلك كفر.

ولا يخلو حال مَنْ ينسب نزول المطر إلى غير الله مِنْ أحد أمرين:

الأول: أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم، فهذا كفر أكبر، لأنه إشراك في الربوبية، إذ لا خالق إلا الله.

الثاني: أن ينسب إنزال المطر إلى النجم باعتباره سبباً مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك، فهذا شرك أصغر. لأن الله لم يجعله سبباً لإنزال المطر. ولأنه من نسبة نعمة الله إلى غيره.

وقد جزم أهل العلم بتحريم قول: «مطرنا بنوء كذا» لما سبق من الأدلة، ولأن الباء تحتمل معاني وكلها لا تصدق بهذا اللفظ فليست للسببية ولا للاستعانة- كما سبق- ولا تصدق أيضاً على أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه. وإنما يأتي المطر في الوقت الذي أراده الله برحمته وحكمته. فكل معنى تحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه فاسد.

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله فإنه الذي تفضل بها على عباده، فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره.

وهذا الموضع من محققات التوحيد، وبه يعرف كامل الإيمان وناقصه.



س١: ما المراد بالاستسقاء بالأنواء، وما موقف الإسلام منه؟

س٢: ما وجه دلالة قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ على بطلان الاستسقاء بالأنواء؟

س٣: بين حكم ما يلي مع التعليل:

(أ) نسبة أفعال الله إلى غيره. (ب) اعتقاد أن الكواكب سبب في نزول المطر.

(جـ) الاعتراف بنعم الله الظاهرة والباطنة ونسبتها إليه.



الفصل السادس

نسبة النعم إلى غير الله

سبق الكلام عن الاستسقاء بالأنواء ونسبة المطر إليها. والكلام الآن عن نسبة النعم عموماً إلى غير الله.

فالواجب على الخلق الاعتراف بفضل الله وإنعامه، والقيام بشكره، وإضافة النعم إليه اعتقاداً وقولاً؛ وبذلك يتم التوحيد ويتحقق الإيمان.

ومن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر بالله، ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة إلى نفسه وعمله أو سعي غيره فهذا شرك أصغر منافٍ لكمال التوحيد، يجب التوبة منه.

والشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان:

١ - اعتراف القلب بنعم الله كلها.

٢ - التحدث بها وحمد الله عليها والثناء عليه بها.

٣ - الاستعانة بها على طاعة المنعم بها وعبادته، وهذا هو شكر الجوارح.

ولنسبة النعم إلى غير الله أمثلة كثيرة كنسبة بعضهم نزول المطر إلى آلهتهم فيقولون: هذا بشفاعة آلهتنا، وقول بعضهم - إذا طاب سير السفينة -: كانت الريح طيبة والملَّاح حاذقاً. وقول: لولا فلان لكان كذا، وهذا مالي وَرِثْتُهُ عن آبائي - متناسين بذلك المُسبِّب الذي هو الله تعالى- ومن الأمثلة المعاصرة: قول بعضهم: تقدم الطب قضى على الأمراض، والخطط التنموية تقضي على الفقر والجهل، ونحو ذلك.

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره الله عن أقوام أنكروا نعمة الله عليهم، ونسبوا ما حصلوا عليه من المال والنعمة إلى غير الله؛ إما إلى كونهم يستحقونها أو إلى خبرتهم ومعرفتهم ومهارتهم. قال تعالى عن قارون الذي آتاه الله الكنوز العظيمة فبغى على قومه، وقد وعظه الناصحون وأمروه بالاعتراف بنعمة الله وشكرها فكابر وقال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾[1] أي حصلت على هذه الكنوز بسبب حذقي ومعرفتي بوجوه المكاسب، لا أنها تفضل من الله تعالى، فكانت عاقبته من أسوأ العواقب حيث خسف الله به وبداره الأرض لما جحد نعمة الله ونسبها إلى غيره، وادَّعى أنه حصل عليها بحوله وقوته. وما أحرى هؤلاء الذين اغتروا في زماننا بما توصلوا إليه من مخترعات وقدرات أقدرهم الله

---

(١) الآية ٧٨ من سورة القصص.

عليها امتحاناً لهم، فلم يشكروا نعمة الله، وصاروا يتشدقون ويتفاخرون بحولهم وقوتهم، وبغوا في الأرض بغير الحق، وتطاولوا على عباد الله؛ ما أحراهم بالعقوبة.

فقد اغترت قبلهم عاد بقوتها، كما قال تعالى عنهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].



س١: ما الواجب على الإنسان تجاه نعم الله تعالى، وما حكم من أنكر هذه النعم؟

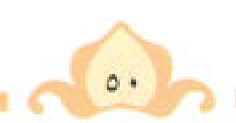
س٢: ما حكم نسبة الإنسان نعمة الله إلى سعيه واجتهاده بلسانه؟

وما الموقف مما يبذله بعض الناس من جهود للتقدم والرقي من حيث نسبة النتائج والثمار؟ مع التعليل.

س٣: اذكر مثالاً لحال من نسب النعمة إلى نفسه، مع بيان عاقبته.

س٤: ما أركان الشكر؟ واذكر تطبيقاً لها على إحدى نعم الله.

(١) الآيتان (١٥-١٦) سورة فصلت.



الفصل السابع

السحر والكهانة والعرافة[1]

١ - تعريف السحر:

لغة: ما خفي ولطف سببه، وسمي سحراً لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالأبصار.
وشرعاً: عزائمُ وعُقَدٌ ينفث فيها ورُقَى وكلام يتكلم به وأدوية وتدخينات. وله حقيقة، ومنه ما يؤثر في القلب والبدن فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.

وتأثيره بإذن الله الكوني القدري، وهو عمل شيطاني - وكثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها - ولهذا قرنه الشارع بالشرك حيث يقول النبي ﷺ: (**اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن؟ قال: الإشراك بالله والسحر**)[2] الحديث.

حكم السحر:

السحر كفر وشرك يناقض العقيدة ويجب قتل متعاطيه، كما قَتَلَ جَمَاعَةٌ من أكابر الصحابة رضي الله عنهم السحرةَ، وقد تساهل الناس في شأن الساحر وربما عَدُّوا ذلك فَنّاً من الفنون التي يفتخرون بها ويمنحون أصحابها الجوائز والتشجيع، ويقيمون النوادي والمسابقات للسحرة ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين، وهذا من الجهل بالدين والتهاون بشأن العقيدة وتمكين للعابثين بها.

٢ - الكهانة والعرافة:

وهما ادعاء علم الغيب ومعرفة الأمور الغائبة كالإخبار بما سيحصل في الأرض، وأين مكان الشيء المفقود، وذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء. كما قال تعالى:
﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[3].
وذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة فيلقيها في أذن الكاهن ويكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة فيصدقه الناس بسبب تلك الكلمة التي سُمِعت من السماء.

---

(١) العرّاف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العرّاف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.
(٢) رواه البخاري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى: ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ﴾. الآية ج٣ ص١٩٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، حديث رقم (٨٩) ص٩٢.
(٣) الآيات (٢٢١-٢٢٣) من سورة الشعراء.

حكم الكهانة:

الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدَّق من يدعي ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، والكهانة لا تخلو من الشرك فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه. وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)**[1].

خطر الكهنة والسحرة والعرافين على الناس:

ومما يجب التنبيه عليه والتنبه له: أن السحرة والكهان والعرافين يعبثون بعقائد الناس بحيث يظهرون بمظهر الأطباء فيأمرون المرضى بالذبح لغير الله، بأن يذبحوا خروفاً صفته كذا وكذا أو دجاجة، أو يكتبون لهم الطلاسم الشركية والتعاويذ الشيطانية بصفة حروز يعلقونها في رقابهم أو يضعونها في صناديقهم أو في بيوتهم، والبعض الآخر يظهر بمظهر المخبر عن المغيبات وأماكن الأشياء المفقودة بحيث يأتيه الجهال فيسألونه عن الأشياء الضائعة فيخبرهم بها أو يحضرها لهم بواسطة عملائه من الشياطين، وبعضهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق وكرامات كدخول النار ولا تؤثر فيه، وضرب نفسه بالسلاح، أو وضع نفسه تحت عجلات السيارة ولا تؤثر فيه، أو غير ذلك من الشعوذات التي هي في حقيقتها سحر من عمل الشيطان يجري على أيدي هؤلاء للفتنة، أو هي أمور تخيلية لا حقيقة لها بل هي حيل خفية يتعاطونها أمام الأنظار كعمل سحرة فرعون بالحبال والعصي.

مثال من دجل السحرة وتلبيسهم:

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مناظرته للسحرة البطائحية الأحمدية (الرفاعية): قال: (يعني شيخ البطائحية ورفع صوته: نحن لنا أحوال وكذا وكذا، وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها، وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها، قال شيخ الإسلام: فقلت ورفعت صوتي وغضبت: أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها، أي شيء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت: فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن تغسل جسومنا بالخل والماء الحار، فسألني الأمراء والناس عن ذلك فقلت:

---

(1) رواه أحمد ج٢ ص٤٢٩ والحاكم ج ١ ص٨ وصححه على شرطهما: وقال الذهبي: إسناده قوي، وانظر سنن أبي داود، كتاب الطب باب في الكاهن، والترمذي كتاب الطهارة باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، وابن ماجه كتاب الطهارة باب النهي عن إتيان الحائض، والدارمي كتاب الطهارة باب من أتى امرأته في دبرها.

لأن لهم حيلاً في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر النارنج وحجر الطلق فضجَّ الناس بذلك، فأخذ يظهر القدرة فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت، فقلت: فقم وأخذت أكرر عليه بالقيام إلى ذلك، فمدَّ يديه يظهر خلع القميص. فقلت: لا، حتى تغتسل بالماء الحار والخل فأظهر الوهم على عادتهم فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشباً، أو قال حزمة حطب فقلت: هذا تطويل وتفريق للجمع ولا يحصل به مقصود، بل قنديل يوقد وأدخل أصبعي وأصبعك فيه بعد الغسل ومن احترقت أصبعه فعليه لعنة الله أو قلت فهو مغلوب. فلما قلت ذلك تَغَيَّر وذلَّ- انتهى)[1]، والمقصود منه بيان أن هؤلاء الدجالين يكذبون على الناس بمثل هذه الحيلة الخفية.



علاقتها بالشرك:

كل هذه الأمور أعمال شيطانية محرمة، تُخِلُّ بالعقيدة أو تناقضها لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية، فهي داخلة في الشرك من ناحيتين.

الناحية الأولى: ما فيها من استخدام الشياطين والتَعلُّق بهم والتقرُّب إليهم بما يحبونه من طاعتهم وصرف شيء من العبادة لهم ليقوموا بخدمة الساحر، فالسحر من تعليم الشياطين-قال تعالى:

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[2].

الناحية الثانية: ما فيها من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾[3] أي: نصيب.

(١) مجموع الفتاوى (١١/٤٦٥-٤٦٦).

(٢)و(٣) الآية (١٠٢) من سورة البقرة.





الأسئلة

س١ : عرف السحر لغة وشرعاً، ولماذا سمي السحر سحراً؟

س٢ : لماذا قرن السحر بالشرك؟ مع الاستدلال على ذلك.

س٣ : ما حكم متعاطي السحر؟ وماذا يجب نحوه؟ مع الاستدلال.

س٤ : ما الكهانة والعرافة؟ وما حكمهما؟

س٥ : اذكر صوراً تبين خطر الكهنة والسحرة والعرافين على الناس.

س٦ : ما حكم الذهاب إلى الكهان والعرافين للعلاج عندهم؟ دلل على ما تقول.

س٧ : ما حكم تمكين الكهان والعرافين من إظهار أعمالهم أمام الجمهور من المسلمين؟ علل ما تقول.

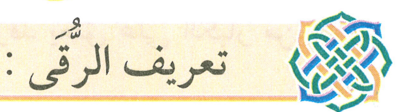
س٨ : ما وجه كون الكهانة شركًا في الربوبية وشركًا في الألوهية؟

س٩ : اذكر مثالاً من دجل السحرة وتلبيسهم.

س١٠ : ما علاقة السحر والكهانة والعرافة بالشرك؟

الفصل الثامن

الرُّقَى والتمائم



تعريف الرُّقَى :

الرُّقَى: جمع رُقْـيَة وهي العُوْذَة التي يُرْقَى بهـا صاحب الآفة كالحـمى والصرع وغيـر ذلك من الآفات ويسمونها العزائم وهي على نوعين:

النوع الأول: ما كـان خاليـاً من الشرك بأن يُقْـرأ على المريض شيءٌ من القرآن أو يُـعَوَّذ بأسـماء الله وصفاته فهذا مباح؛ لأن النبي- ﷺ - قد رَقَى وأمر بالرُّقَى وأجازها.

عن عوف بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كنا نرقي في الجـاهلية فقلنا: يا رسـول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: **(اعرضوا عليَّ رُقَاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا)**[١].

شروط الرقية الشرعية:

قال السيوطي ـ رحمه الله ـ: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١) أن تكون بكلام الله أو بأسماء الله وصفاته أو بالأدعية النبوية.

٢) أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه.

٣) أن يعتقد أن الرقى لا تؤثر بذاتها. بل بتقدير الله تعالى[٢].

كيفيتها:

أن يقرأ وينفث على المريض، أو يقـرأ في ماء ويسقاه المريض، كـما جاء في حديث عـائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: **بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يُشْفَى سقيمنا بإذن ربنا)**[٣].

النوع الثاني: ما لم يَخْلُ من الشرك وهي الرقى التي يستعان فيها بغير الله من دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة به، كالرقى بأسماء الجن أو بأسماء الملائكة والأنبـياء والصالحين فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر. وأما إن كان بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه فيخشى أن يدخلها كفر أو شرك ولا يعلم عنه فهذا النوع من الرقى ممنوع سداً للذريعة.

(١) رواه مسلم كتاب السلام باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك حديث ٢٢٠٠ ص ١٧٢٧.

(٢) فتح المجيد ص١٣٥ بتصرف.

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، ومسلم، كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث حديث ٢١٩٤ ص ١٧٢٤. ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريقه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع أو العليل. ويقول هذا في حال المسح.



تعريف التمائم :

التمائم: هي جمع تميمة وهي: ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين، وقد يعلق على الكبار من الرجال والنساء وهي على نوعين:

النوع الأول: ما كان من القرآن، بأن يكتب آيات من القرآن، أو من أسماء الله وصفاته ويعلقها للاستشفاء بها فهذا النوع قد اختلف العلماء في حكم تعليقه على قولين:

القول الأول: الجواز وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبو جعفر الباقر رحمه الله وأحمد بن حنبل رحمه الله في رواية عنه وحملوا الحديث الوارد في المنع على تعليق التمائم التي فيها شرك.

القول الثاني: المنع من ذلك وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما، وهو ظاهر قول حذيفة رضي الله عنه وعقبة بن عامر رضي الله عنه وابن عُكَيم رضي الله عنه وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن الرقى والتمائم والتِّوَلَة[1] شِرْكٌ)**[2]

وهذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة :

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة فإنها تؤدي إلى تعليق ما ليس مباحاً.

الثالث: أنه إذا علق شيئاً من القرآن فلا بد أن يمتهنه المعلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك ولا سيما إذا كان من الصبيان[3].

النوع الثاني من التمائم:

وهي التي تعلق على الأشخاص من غير القرآن، كالخرز والعظام والوَدع والخيوط والنعال والمسامير وأسماء الشياطين والجن والطلاسم، فهذا محرم قطعاً وهو من الشرك؛ لأنه تعلق بغير الله سبحانه وأسمائه وصفاته وآياته، وفي الحديث: **(من تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إليه)**[4].

---

(١) التولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم حديث ٣٨٨٣ وابن ماجه، كتاب الطب، باب تعليق التمائم حديث ٣٥٣٠ وأحمد ج ١ ص ٣٨١ والحاكم ج ٤ ص ٢١٧، والبغوي في شرح السنة ج١٢ ص١٥٦، ١٥٧ وانظر كلام الألباني في الصحيحة ج١ حديث ٣٣١.

(٣) فتح المجيد ص ١٣٦. (٤) رواه أحمد ج٤ ص ٣١٠، ٣١١ والترمذي ٢٠٧٢ والحاكم ج ٤ ص٢١٦.

أي وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلق بـالله والتجأ إليه وفوَّض أمره إليه كـفاه وقرَّب إليه كل بعيد ويسَّـر له كل عسير، ومن تعلق بغـيره من المخلوقين والتمائم والأدوية والقـبور وَكَلَهُ الله إلى ذلك الذي لا يغني عنه شيئاً ولا يملك له ضراً ولا نفعاً فخسر عقيدته وانقطعت صلته بربه وخذله الله. . . . .

الواجب على المسلم:

الواجب على المسلم المحافظة على عقيدته مما يفسدها أو يخل بها فلا يتعاطى ما لا يجوز من الأدوية ولا يذهب إلى المخرفين والمشعوذين ليعالج عندهم من الأمراض؛ لأنهم يمرضون قلبه وعقيدته، ومن توكل على الله كفاه.

وبعض الناس يعلق هذه الأشياء على نفسه وليس فيه مرض حسي وإنما فيه مرض وهمي وهو الخوف من العين والحسد، أو يعلقـها على سيارته أو دابته أو باب بيـته أو دكانه وهذا كله من ضعف العقـيدة وضعف توكله على الله، وضعف العقيدة هو المرض الحقيقي الذي يجب علاجه بمعرفة التوحيد والعقيدة الصحيحة.

تنبيه مهم:

الرقى غير الشرعية والتمائم إن اعتقد متـخذها أنها تؤثر بذاتها أو اشتملت على تقرب إلى الشياطين فهي شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب غير مؤثر بذاته، والتأثير بتقدير الله فهي شرك أصغر.



الأسئلة

س١: عرف الرقى، وما أنواعها مع ذكر الأدلة؟

س٢: ما شروط الرقية الشرعية؟

س٣: عرف التميمة.

س٤: ما حكم تعليق التمائم التي تكتب من القرآن أو من أسماء الله وصفاته مع الترجيح والاستدلال على ذلك؟

س٥: ما حكم تعليق التمائم التي من غير القرآن كالخرز والعظام ونحو ذلك مع الاستدلال؟

س٦: متى تكون الرقى غير الشرعية شركاً أكبر ومتى تكون شركاً أصغر؟

س٧: ما حكم الرقية بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه؟ ولماذا؟

الفصل التاسع

الطيــــرة

تعريف الطِّيَرَة :

هي التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع والأشخاص وغير ذلك. فإذا عزم شخص على أمر من الأمور فرأى أو سمع ما يكره أثَّر فيه ذلك أحد أمرين:

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازماً عليه تأثراً بما رأى أو سمع، فيعلَّقُ قلبه بذلك المكروه، ويؤثر ذلك على إيمانه ويخل بتوحيده وتوكله على الله.

والأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي، ولكنه يؤثر في قلبه حزناً وهماً وغماً فهذا وإن كان دون الأول لكنه ضرر على العبد وموهن لتوكله. وربما تدرج به إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل يبين وجه ذم الشرع للطيرة ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل.

والواجب على من وجد شيئاً من ذلك في نفسه أن يجاهدها على دفعه ويستعين بالله ويتوكل عليه ويمضي في شأنه، ولا يركن إلى هذا الشيء بل يقطع هاجس الطيرة قبل استقرارها.

والتطير شرك؛ لما روى ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك»[1] وذلك لكونه تعلق على غير الله، واعتقاد بحصول الضرر من مخلوق لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولمنافاته للتوكل.

وعن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله ﷺ: ومِنَّا أُناسٌ يتطيرون، قال: **«ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»**[2]. فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده تأثراً بما رآه أو سمعه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»**[3].

وقد بيَّن النبي ﷺ الفأل بأنه الكلمة الطيبة، وأخبر أنه يعجبه فدلَّ على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها، وليس فيه شيء من الشرك.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب الطيرة حديث رقم ٣٩١٠ والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة حديث رقم ١٦١٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ص ١٥٤٨ حديث رقم ٥٣٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب باب الفأل برقم (٥٧٥٦) ومسلم، كتاب السلام باب الطيرة والفأل برقم (٢٢٢٤).

وصفة ذلك: أن يعزم العبد على أمر ثم يرى في تلك الحال أو يسمع ما يسره مثل: يا راشد أو سالم أو غانم فيتفاءل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه. فهذا كله خير وآثاره خير.

وإنما أعجبه الفأل لأنه حسن ظن بالله، والعبد مأمور أن يحسن الظن بالله.

والطيرة سوء ظن بالله عز وجل، وتوقع للبلاء. ومن هنا جاء الفرق بينهما في الحكم؛ لأن الناس إذا أمَّلوا الخير من الله علقوا قلوبهم به وتوكلوا عليه وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر والتعلق على غير الله.



الأسئلة

س١: بيِّن ما هو تطير وما ليس بتطير مما يلي:

(أ) رجل خرج مسافراً لحاجة فرأى غراباً فرجع.

(ب) رجل خسر في تجارته فقال: خسرت لأني قابلت صباحاً رجلاً أعور.

(جـ) رجل خرج إلى دكانه فسمع رجلاً يقول: ربحت، ربحت؛ ففرح بذلك.

(د) رجل سافر فرأى في طريقه بومة، فاستمر في سفره.

س٢: بيِّن حكم الطيرة مع الدليل والتعليل.

س٣: ما الفرق بين الطيرة والفأل؟

س٤: ما العلاج لمن وجد في نفسه التطير؟

الفصل العاشر: تقديم القرابين والنذور والهدايا للمزارات[1] والقبور وتعظيمها

لقد سَدَّ النبي ﷺ كل الطرق المفضية إلى الشرك وحذر منها غاية التحذير، ومن ذلك مسألة القبور فقد وضع الضوابط الواقية من عبادتها والغلو في أصحابها ومن ذلك:

١ - أنه قد حذر ﷺ من الغلو في الأولياء والصالحين، لأن ذلك يؤدي إلى عبادتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**يا أيها الناس إياكم والغلوَّ في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين**)[2]. وقال: (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**)[3].

٢ - حذر ﷺ من البناء على القبور، كما روى أبو الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) وفي رواية (**ولا صورة إلا طمستها**)[4]. ونهى عن تجصيصها والبناء عليها، فعن جابر رضي الله عنه قال: (**نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه**)[5].

٣ - وحذر ﷺ من الصلاة عند القبور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (**لما نُزِل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يُحَذِّرُ ما صنعوا، ولولا ذلك أُبْرِزَ قَبْرُهُ غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً**)[6].

---

(١) المزارات: جمع مزار وهو ما يزار من القبور والآثار والأمكنة بقصد التعبد. القرابين: جمع قربان وهو ما يتقرب به من النذور والذبائح والأطعمة.
النذور: جمع نذر وهو ما يلزم المرء به نفسه من القربات.

(٢) رواه الإمام أحمد المسند ج١ ص ٢١٥ والنسائي كتاب مناسك الحج باب التقاط الحصى حديث ٣٠٥٧ وابن ماجه كتاب المناسك باب قدر حصى الرمي حديث ٣٠٢٩ وهذا لفظه.

(٣) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ الآية ج ١ ص ١٤٢.

(٤) رواه مسلم كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر حديث رقم ٩٦٩ ص ٦٦٦.

(٥) رواه مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه حديث رقم ٩٧٠ ص٦٦٧.

(٦) رواه البخاري كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ج٢ ص ١٠٦ ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور حديث رقم ٥٢٩ ص ٣٧٦.

فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤال حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك. فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له. انتهى[1].

حكم تقديم النذور والقرابين للمزارات:

تقديم النذور والقرابين للمزارات شرك أكبر، سببه مخالفة هدي النبي ﷺ في الحالة التي يجب أن تكون عليها القبور، من عدم البناء عليها، وإقامة المساجد عليها، لأنها لما بنيت عليها القباب وأقيمت حولها المساجد والمزارات ظن الجهال أن المدفونين فيها ينفعون أو يضرون، وأنهم يغيثون من استغاث بهم ويقضون حوائج من التجأ إليهم فقدموا لهم النذور والقرابين، حتى صارت أوثانًا تعبد من دون الله، وقد قال النبي ﷺ: **(اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد)**[2] وما دعا بهذا الدعاء إلا لأنه سيحصل شيء من ذلك في غير قبره ﷺ وقد حصل في كثير من بلاد الإسلام، أما قبره فقد حماه الله ببركة دعائه ﷺ، وإن كان قد يحصل في مسجده شيء من المخالفات من بعض الجهال أو الخرافيين، لكنهم لا يقدرون على الوصول إلى قبره ﷺ، لأن قبره في البيت وليس في المسجد وهو محوط بالجدران.

الأسئلة

س١: ما حكم الوسائل التي تفضي إلى الشرك؟ وبين كيف سدها النبي ﷺ مستدلاً لما تقول.

س٢: بين حكم ما يأتي مع التعليل:

(أ) تجصيص القبور والبناء عليها. (ب) الصلاة عند القبور.

(جـ) إيقاد السرج، وإيقاف الوقوف على إيقاد القناديل على القبور.

(د) الدعاء للميت والترحم عليه وسؤال العافية له.

س٣: ما الذي يستفاد من قول الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)؟ وهل عبد قبره ﷺ؟ ولماذا؟

س٤: اذكر خمسة أمثلة لمخالفة الناس سنة النبي ﷺ في القبور، وما الذي آلت إليه هذه المخالفة؟

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٤-٢١٥-٢١٧).

(٢) رواه أحمد ج٢ ص ٢٤٦ ورواه مالك مرسلاً كتاب قصر الصلاة في السفر باب جامع الصلاة حديث ٨٥ ج١ ص١٧٢.

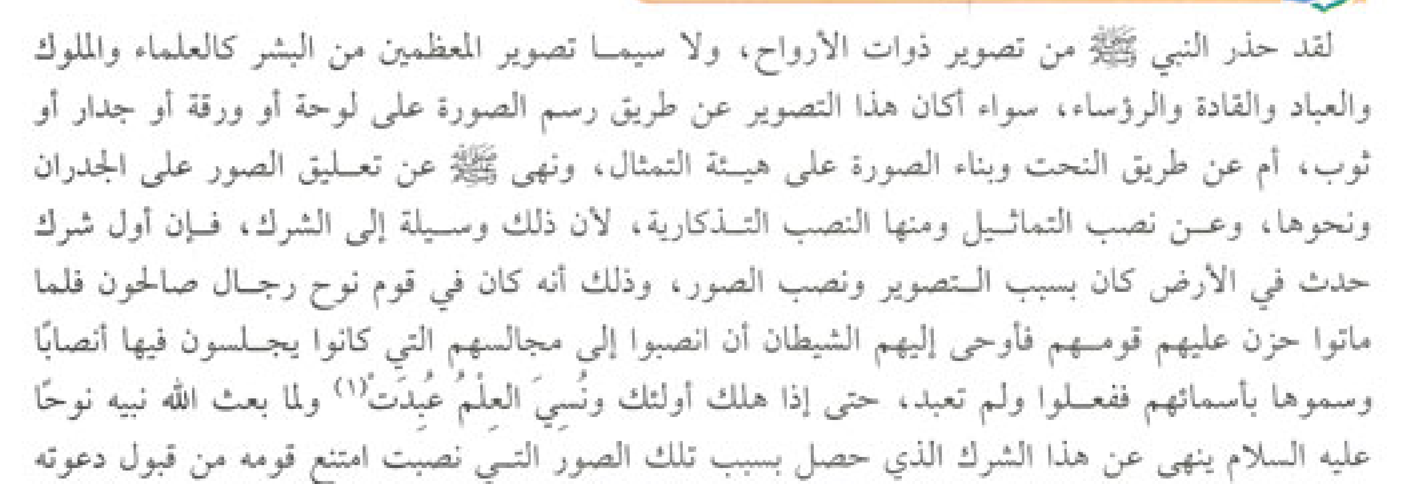
الفصل الحادي عشر: تعظيم التماثيل والنُصُب التذكارية

تعريفها :

التماثِيل جمع تمثال، وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان أو غيرهما مما فيه روح.

والنُّصب في الأصل: العَلَم وأحجار كان المشركون يذبحون عندها، والنصب التذكارية: تماثيل يقيمونها في الميادين ونحوها لإحياء ذكرى زعيم أو معظم على صورهم.

تصوير ذوات الأرواح وسيلة إلى الشرك:



لقد حذر النبي ﷺ من تصوير ذوات الأرواح، ولا سيما تصوير المعظمين من البشر كالعلماء والملوك والعباد والقادة والرؤساء، سواء أكان هذا التصوير عن طريق رسم الصورة على لوحة أو ورقة أو جدار أو ثوب، أم عن طريق النحت وبناء الصورة على هيئة التمثال، ونهى ﷺ عن تعليق الصور على الجدران ونحوها، وعن نصب التماثيل ومنها النصب التذكارية، لأن ذلك وسيلة إلى الشرك، فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ونصب الصور، وذلك أنه كان في قوم نوح رجال صالحون فلما ماتوا حزن عليهم قومهم فأوحى إليهم الشيطان أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ[1] ولما بعث الله نبيه نوحًا عليه السلام ينهى عن هذا الشرك الذي حصل بسبب تلك الصور التي نصبت امتنع قومه من قبول دعوته وأصروا على عبادة تلك الصور المنصوبة التي تحولت إلى أوثان:

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[2].

وهذه أسماء الرجال الذين صورت تلك الصور على أشكالهم إحياء لذكرياتهم وتعظيماً لهم.

فانظر إلى ما آل إليه الأمر بسبب هذه الأنصاب التذكارية من الشرك بالله ومعاندة رسله، مما سبب إهلاكهم بالطوفان ومقتهم عند الله وعند خلقه، مما يدلك على خطورة التصوير ونصب الصور، ولهذا لعن

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة نوح ج ٦ ص ٧٣.

(٢) الآية (٢٣) من سورة نوح.

النبي ﷺ. المصورين[1]، وأخبر أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة[2]، وأمر بطمس الصور، وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة[3]، كل ذلك من أجل مفاسدها وشدة مخاطرها على الأمة في عقيدتها، فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب نصب الصور، وسواء أكانت هذه النصب للصورة والتماثيل في المجالس أم في الميادين أم في الحدائق، فإنه محرم شرعاً لأنه وسيلة إلى الشرك وفساد العقيدة، وبهذا نعلم أن تعظيم الصور المجسمة والمنحوتة على هيئة الصنم والتمثال مما فيه مضاهاة خلق الله عز وجل أمر محرم شرعاً، وأما الصورة التي لا تعظم كالصور الفوتوغرافية المعروفة والمستعملة في إثبات الشخصية كبطاقة الأحوال وجواز السفر وما في حكمها مما تدعو إليه الحاجة أو تمليه المصلحة فلا بأس بها إن شاء الله.



س١: ما المراد بالتماثيل والنصب التذكارية؟

س٢: متى حصل أول شرك في الأرض، وما سببه، وكيف حصل ذلك؟

س٣: بين حكم ما يأتي مع التعليل.

(أ) الرسم عن طريق النحت وبناء الصور على هيئة تماثيل.

(ب) نصب التماثيل والنصب التذكارية.

---

(١) عن أبي جحيفة -رضي الله عنه- قال: (لعن النبي ﷺ الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغي ولعن المصورين) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد ج٦ ص١٨٨.

(٢) عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون» متفق عليه البخاري، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة ج٧ ص٦٥ ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه حديث رقم ٢١٠٩ ص ١٦٧٠.

(٣) عن القاسم بن محمد -رحمه الله- أن عائشة -رضي الله عنها- أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله فعرفت في وجهه الكراهة فقلت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: (ما بال هذه النمرقة؟) قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: (إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم أحيوا ما خلقتم)، وقال: (إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة). متفق عليه، البخاري، كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء ج٣ ص١٧ ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة ممتهنة بالفرش ونحوه حديث رقم ٢١٠٧ ص ١٦٦٦ واللفظ للبخاري.

الفصل الثاني عشر

الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته

حكم الاستهزاء بالدين:

يجب على المسلم تعظيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واحترام علماء المسلمين قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1] كما ينبغي أن يعرف حكم من استهزأ بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ ليكون المسلم على حذر من ذلك.

والاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام وخروج عن الدين بالكلية، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[2] فهذه الآية: تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وأن الاستهزاء بالرسول كفر، وأن الاستهزاء بآيات الله كفر فمن استهزأ بواحد من هذه الأمور فهو مستهزئ بجميعها، والذي حصل من هؤلاء المنافقين أنهم استهزؤوا بالرسول وصحابته فنزلت الآية، فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم.

من أسباب الاستهزاء:

الاستخفاف بتوحيد الله تعالى وتعظيم دعاء غيره من الأموات، فمن الناس من إذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾[3] فاستهزؤوا بالرسول ﷺ لما نهاهم عن الشرك، وما زال المشركون يعيبون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد، لما في أنفسهم من تعظيم الشرك، وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ به لما عنده من الشرك.

فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثاناً تجدهم يستهزؤون بما هو من توحيد الله وعبادته ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذباً ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذباً، وكثير من طوائف المبتدعة يرى أحدهم أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في

---

(١) الآية (٣٢) من سورة الحج. (٢) الآيتان (٦٥-٦٦) من سورة التوبة. (٣) الآيتان (٤٠-٤١) من سورة الفرقان.

المسجد عند السَّحَر، ويستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلى التـوحيد، وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد[1] فهل هذا إلا من استـخفافهم بالله وبآياته ورسله وتعظيـمهم للشرك[2]، وهذا كثيـر وقوعه في القبوريين اليوم.

من صور الاستهزاء:

ما ورد من قول مَنْ نزلت فيهم الآية السابقـة من سورة التوبة: ما رأينا مثل قرآئنا هؤلاء أرْغَبَ بطونًا، ولا أكذب ألْسُنًا، ولا أجْبَنَ عند اللقاء. أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين كقول بعضهم: إن الإسلام إنما يصلح للقرون الوسطى، وأنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسـوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقوقها، حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجـات وقولهم: الحكمُ بالْقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام.

ومن الاستهزاء: السخرية بمن يدعو إلى التوحيد أو ينكر الشرك وعبادة القبور أو يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، ومنه أيضاً الاستهزاء بالسنة الظاهرة كإعفاء اللحـى وترك الإسبال، ومثله السخرية والاستهزاء بالحجاب وسواءً أكان ذلك على وجه الجد والقصد أم الضـحك واللعب تصريحاً واضحاً أو غمزاً أو همزاً أو لمزاً فكله داخل في الاستهزاء المنهي عنه وداخل في الوعيد الشديد.



س١: ما حكم الاستهزاء بالدين مع الاستدلال على ذلك؟
س٢: ما سبب الاستهزاء بالدين مع ذكر الدليل؟
س٣: اذكر خمس صور من صور الاستهزاء بالدين.

---

(١) المشاهد: القبور المبنية.　　(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٤٨-٤٩)

ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم

التشريع حق لله تعالى:

تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم والتي تفصل النزاع بينهم وتنهي الخصومات حق لله تعالى رب الناس وخالق الخلق، قال تعالى:

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وهو الذي يعلم ما يصلح عباده فيشرعه لهم، فبحكم ربوبيته لهم يشرع لهم، وبحكم عبوديتهم له يتقبلون أحكامه، والمصلحة في ذلك عائدة إليهم، قال تعالى:

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي ﴾[3].

فالتحليل والتحريم حق لله تعالى لا يجوز لأحد أن يشاركه فيه، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[4].

فجعل سبحانه وتعالى طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم الله شركاً به سبحانه.

فيجب على المسلم أن يحذر من التساهل في إطلاق التحليل والتحريم بغير علم ودليل، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾[5].

---

(١) الآية (٥٤) من سورة الأعراف.
(٢) الآية (٥٩) من سورة النساء.
(٣) الآية (١٠) من سورة الشورى.
(٤) الآية (١٢١) من سورة الأنعام.
(٥) الآية (١١٦) من سورة النحل.

وقال تعالى في التحذير من القول بلا علم في دين الله ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

واستنكر سبحانه أن يتخذ العباد مشرعاً غيره فقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[2].

حكم قبول تشريع غير الله:

فمن قبل تشريعاً غير تشريع الله عالماً بذلك مختاراً له غير مكره أو مضطر إليه فقد أشرك بالله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[3]. ولا يجوز لمسلم أن يطيع أحداً في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله؛ لقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾الآية[4].

ولما سمع عدي بن حاتم رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية، قال عديٌّ: إنهم لم يعبدوهم، فقال رسول الله ﷺ: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً-حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله-يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً - وإن لم يكونوا يُصلُّون لهم ويسجدون لهم- فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين مشركًا حيث اعتقد ما قاله ذلك، دون ما قال الله ورسوله.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**». وقال ﷺ: «**على المسلم السمع والطاعة فيما أحب و كره ما لم يؤمر بمعصية**».

---

(١) الآية (٣٣) من سورة الأعراف.
(٢) الآية (٢١) من سورة الشورى.
(٣) الآية (٥٠) من سورة المائدة.
(٤) الآية (٣١) من سورة التوبة.
(٥) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، حديث رقم (٣٠٩٥) وقال: حسن غريب، والإمام أحمد وحسّنه الألباني.

وقال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**». وقال ﷺ: «**من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه**»[1].

وأما الأنظمة التي يسنها ولاة الأمر ولم يكن فيها مخالفة لأوامر الله ورسوله مما يقصد بها تنظيم أمور الرعية بما يجلب لهم المصالح أو يدفع عنهم المفاسد ويحفظ حقوقهم، فليس بمنهي عنه شرعاً، ولا يدخل في تشريع ما لم يأذن به الله، ويلزم الرعية السمع والطاعة فيه وتُعَدُّ مخالفته معصية.

وقد ذكر ابن القيم أن السياسة الشرعية هي كل فعل يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي[2].



الأسئلة

س١: من الذي يستحق أن يشرع الأحكام وما الدليل على ذلك؟

س٢: أكمل ما يأتي:

(أ) جعل سبحانه وتعالى طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم.........................

(ب) من قبل تشريعاً غير تشريع الله عالماً بذلك غير جاهل، مختاراً له غير مكره أو مضطر إليه........

(جـ) أن ما لم يشرعه الله ولا رسوله في السياسة والحكم بين الناس مما يخالف ما شرعه الله ورسوله فهو حكم.........................

(د) من أطاع مخلوقاً في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فلا يخلو من وجهين اذكرهما:

....

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٧٠-٧١.

(٢) «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» (الصحيفة ١٣).

الحكم بغير ما أنزل الله

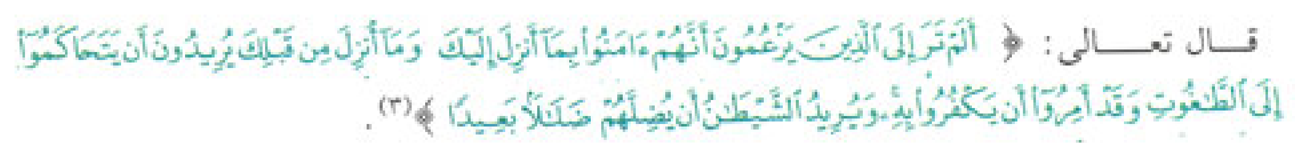
من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته الخضوع لحكمه والرضا بشرعه والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ عند الاختلاف في الأقوال وفي الأصول وفي الخصومات وفي الدماء والأموال وسائر الحقوق، فإن الله هو الحكم وإليه الحُكم. فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله، قال تعالى في حق الولاة:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾[1].

ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[2].

التحاكم إلى غير ما أنزل الله ينافي الإيمان:



قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾[3].

إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[4].

(١) الآية: (٥٨) من سورة النساء. (٢) الآية (٥٩) من سورة النساء.

(٣) الآية (٦٠) من سورة النساء. (٤) الآية (٦٥) من سورة النساء.



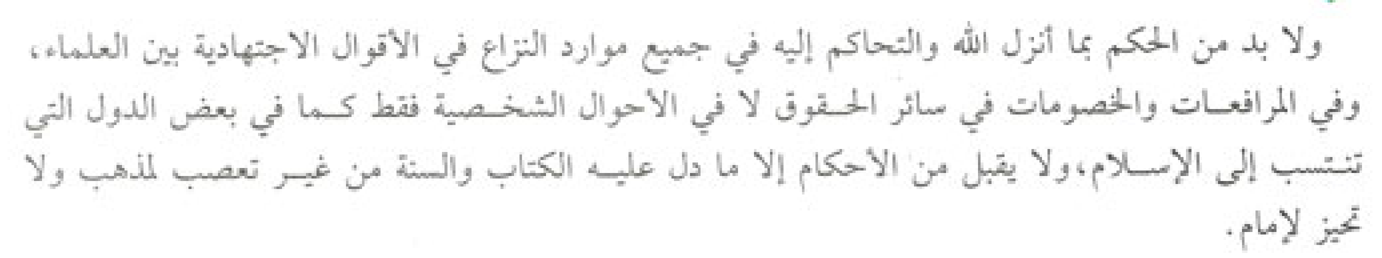
المتحاكم إلى غير شرع الله له ثلاث حالات:

الأولى: من تحاكم إلى غير شرع الله رغبة فيه ويرى أن ذلك سائغ وهو مختار غير مكره فهذا الفعل كفر لا يجتمع مع الإيمان.

الثانية: أن يعتقد وجوب التحاكم إلى شرع الله -عز وجل- لكنه تحاكم إلى غيره لهوى أو مصانعة لأحد أو لمصلحة يطلبها مع إقراره أنه ارتكب معصية يستحق معها العقوبة، فهذا ينافي الإيمان الواجب ولكنه لا ينفي الإيمان بالكلية، أو يعني زوال الإيمان بالكلية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية: (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً بحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً ولكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة)[1].

الثالثة: من تحاكم إلى غير شرع الله مكرهاً أو مضطراً أو جاهلاً فلا يدخل في أحكام الوعيد المتعلقة بمن تحاكم إلى غير شرع الله[2]. لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

عموم التحاكم بما أنزل الله في جميع مواطن النزاع:



ولا بد من الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه في جميع موارد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء، وفي المرافعات والخصومات في سائر الحقوق لا في الأحوال الشخصية فقط كما في بعض الدول التي تنتسب إلى الإسلام، ولا يقبل من الأحكام إلا ما دل عليه الكتاب والسنة من غير تعصب لمذهب ولا تحيز لإمام.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٣١).

(٢) سئل الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله: ما حكم التحاكم إلى المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية؟
فأجاب: بقدر الإمكان لا يتحاكم إليها، وأما إذا كان لا يمكن أن يستخلص حقه إلا عن طريقها فلا حرج عليه.
(فتاوى ورسائل الشيخ عبدالرزاق عفيفي، الصفحة ٣٦٥ السؤال رقم ٥٠).



حكم من حكم بغير ما أنزل الله:

الحكم بغير ما أنزل الله نوعان:

النوع الأول: يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً مخرجاً من الملة إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان بحكم الله واعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه وأنه لا يصلح لهذا الزمان أو أن تطبيق بعض الحدود فيه قسوة ووحشية.

النوع الثاني: يكون كفراً غير مخرج من الملة إذا اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاصٍ ويسمى كافراً كفراً أصغر.

كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير الآية ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]. قال: إنه ليس بالكفر الذي تذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن المِلَّة هو كفر دون كفر[2]. وقال عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق. وقال طاووس إنه ليس بكفر ينقل عن الملة[3].

بخلاف ما لو جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطئ وله أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور[4].

سُئل الشيخ ابن باز-رحمه الله- كما في رسالة «حوار حول مسائل التكفير» (ص/ ٢٠-٢٢) هذا السؤال: هل تبديل القوانين يُعدُّ كفراً مخرجاً من الملة؟

فكان جوابه رحمه الله: «. . . . . . إذا استباح الحكم بقانون غير الشريعة يكون كافراً كُفراً أكبر، أما إذا فعل ذلك لأسباب خاصة عاصياً لله من أجل الرشوة، أو من أجل إرضاء فلان أو فلان، ويعلم أنه محرم يكون كفراً دون كفر».

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾. ﴿ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، ﴿ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾قال: ليس كمن كفر بالله، ولكن كفر دون كفر.

---

(١) الآية (٤٤) من سورة المائدة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

(٣) ذكرهما ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٢٠.

(٤) شرح الطحاوية ص ٣٦٣-٣٦٤.



الحذر من الحكم بغير علم في دين الله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن الحاكم إذا كان ديِّناً لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار، وإن كان عالماً لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم أولى أن يكون من أهل النار[1].



الأسئلة

س١: هل يجتمع التحاكم إلى غير ما أنزل الله مع الإيمان مع الاستدلال على ذلك؟

س٢: هل يكفي الحكم في بعض موارد النزاع أو القضايا بما أنزل الله كالأحوال الشخصية مع ترك جوانب أخرى يتحاكم فيها إلى غير شرع الله؟

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/٣٨٨.



الفصل الخامس عشر الانتماء إلى المذاهب «الإلحادية والمادية»

الانتماء إلى المذاهب الإلحادية مع الاعتقاد بأصولها المخالفة للدين كالشيوعية والعلمانية وغيرهما ردة عن دين الإسلام، إذا كان المنتمي يعلم بمخالفة أصولها وقواعدها لدين الله وضررها على الإسلام والمسلمين.

وقد أمر الله بالانتماء إلى المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1].

وأما هذه المذاهب الإلحادية فمذاهب فاسدة؛ لأنها مؤسسة على الباطل، فالعلمانية تفصل الدين عن الحكم. والشيوعية تنكر وجود الخالق سبحانه وتعالى وتحارب الأديان السماويَّة.

أما انتماء المسلم لوطنه وقومه وحُبُّه لهم وولاؤه ونصيحته لهم واجتهاده فيما ينفعهم ويحقق اجتماع كلمتهم فلا يتنافى مع حبه لإخوانه المسلمين في أنحاء الأرض ولا يهدر حقوق الأخوة الإسلامية بينه وبين المسلمين قاطبة، وفي هذا رد عملي على أولئك الذين يسعون إلى تفريق المسلمين إلى جماعات وأحزاب لا يجوز للمسلم أن يتعصب لها، لأن الإسلام يرفض العصبيات والنعرات الجاهلية يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[2].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال **(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عُـمِّيَّة يغضب لعَصَبَة أو يدعو إلى عَصَبَة أو ينصر عَصَبَةً فقُتل فَـقِتْلَةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش عن مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه)**[3] وعنه أيضاً قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: **(قد أذهب الله عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تَقِيٌّ وفاجر شَقِيٌّ، والناس بنو آدم وآدم من تراب)**[4].

أثر الحزبيات في تفريق المسلمين:

الأصل أن المسلمين أمة واحدة كما أخبر الله عز وجل ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[5].

---

(١) الآية (١١٩) من سورة التوبة. (٢) الآية (١٣) من سورة الحجرات.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة حديث رقم ١٨٤٨ ص ١٤٧٦-١٤٧٧.

(٤) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل الشام واليمن، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب واللفظ للترمذي.

(٥) الآية (٩٢) من سورة الأنبياء.



فلا يجوز أن يتفرق المسلمون تحت شعارات حزبيـة أو عصبية أو مادية أوغيرها -ولو تَسَمَّتْ بالإسلام- فيعادي بعضهم بعضاً ولا يوالي أحدهم ولا يُحِبُّ إلا من كان منتميـاً إلى حزبه أو جماعته، فتراه يستبيح غيـبة مـخالفـه وسوء الظـن به، ولا شك أن ذلك مما نهى الله عنه في قوله عـز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]. وقـــوله ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2]. فالمسلمـون يجمعهم الصـراط المستقيم، وعـماده الكتـاب والسنـة وما كـان عليـه سلف الأمـة ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

وحسب المسلـمين من آثار الحزبية والتـفرق إلى جـماعات وأحـزاب؛ أن تذهـب ريحهم ويطمع فـيهم عدوهم وتضـعـف شوكتهم وتـتـفرق صفوفهـم وتتبدد طاقاتهم وتخـتلف كلمتهم ويضعف ولاء بعـضهم لبعض وغيرها من المفاسد التي هي من أهم أسباب ما آل إليه حال المسلمين اليوم.

وأصبحت شعوبه تندفع اندفاعاً غريباً إلى إحياء هذه العـصبيات التي أماتها الإسلام والتغني بها وإحياء شعائرها والافتخـار بعهدها الذي تقدم على الإسلام وهو الذي يلح الإسلام على تسميـته بالجاهلية، وقد منَّ الله على المسلمين بالخروج عنها وحثهم على شكر هذه النعمة.

والطبيعي من المؤمن أن لا يذكر جاهلية تقادم عهدها أو قـارب إلا بمقت وكراهية وامتعاض واقشعرار، وهل يذكر السجين المعذب الذي يطلق سراحـه أيام اعتقاله وتعذيبه وامتهانه إلا وعـرته قُشَعْرِيرة، وهل يذكر البـريء من علـة شـديـدة طويلة أشـرف منها عـلى الموت أيام سقـمـه إلا وانكسف باله وانْتُـقِع لونه[4]- والواجب أن يعلـم أن هذه الحزبيـات عـذاب بعثه الله علـى من أعرض عن شرعه وتنكر لدينه كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[5].

والتعصب للحزبيات يسبب رفض الحق الذي مع الآخرين كحال اليهود الذي قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾[6].

---

(١) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.
(٢) الآية (٣١-٣٢) من سورة الروم.
(٣) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام.
(٤) من رسالة (ردة ولا أبا بكر لها) لأبي الحسن الندوي.
(٥) الآية (٦٥) من سورة الأنعام.
(٦) الآية (٩١) من سورة البقرة.

وكحال أهل الجاهلية الذي رفضوا الحق الذي جاءهم به الرسول ﷺ تعصبًا لما عليه آباؤهم.
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾[1].
ويريد أصحاب هذه الحزبيات أن يجعلوها بديلة عن الإسلام الذي مَنَّ الله به على البشرية.



الأسئلة

س١: ما حكم انتماء من يدعي الإسلام إلى المذاهب الإلحادية مع الدليل على ذلك؟

س٢: اكتب نبذة قصيرة عن كل من:

١- الشيوعية. ٢- العلمانية. ٣- الرأسمالية.

س٣: ما حكم الانتماء للأحزاب الجاهلية والقوميات العنصرية مع الدليل على ذلك؟

س٤: ما أثر الحزبيات في تفريق المسلمين؟

(١) الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

الفصل السادس عشر

النظرة المادية للحياة

هناك نظرتان للحياة، نظرة مادية للحياة ونظرة صحيحة، ولكل من النظرتين آثارها.

(أ) فالنظرة المادية للحياة معناها:

أن يكون تفكير الإنسان مقصوراً في تحصيل ملذاته العاجلة ويكون عمله محصوراً في نطاق ذلك، فلا يتجاوز تفكيره ما وراء ذلك من العواقب ولا يعمل له ولا يهتم بشأنه ولا يعلم أن الله جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فجعل الدنيا دار عمل وجعل الآخرة دار جزاء، فمن استغل دنياه بالعمل الصالح ربح الدارين ومن ضيع دنياه ضاعت آخرته: ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[1].

فالله لم يخلق هذه الدنيا عبثاً بل خلقها لحكمة عظيمة، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[3]. أوجد سبحانه في هذه الحياة من المتع العاجلة والزينة الظاهرة من الأموال والأولاد والجاه والسلطان وسائر المستلذات ما لا يعلمه إلا الله.

فمن الناس - وهم الأكثر- من قصر نظره على ظاهرها ومفاتنها ومتع نفسه بها ولم يتأمل في سرها، فانشغل بتحصيلها وجمعها والتمتع بها عن العمل لما بعدها، بل أنكر أن يكون هناك حياة غيرها كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[4].

الوعيد لأصحاب النظرة المادية:

وقد توعد الله تعالى مَنْ هذه نظرته للحياة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ ﴾[5].

(١) الآية ١١ من سورة الحج. (٢) الآية ٢ من سورة الملك.
(٣) الآية (٧) من سورة الكهف. (٤) الآية (٢٩) من سورة الأنعام.
(٥) الآيتان ٧، ٨ من سورة يونس.

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

وهذا الوعيد يشمل أصحاب هذه النظرة سواء أكانوا من الذين يعملون عمل الآخرة يريدون به الحياة الدنيا كالمنافقين والمرائين بأعمالهم، أم كانوا من الكفار الذي لا يؤمنون ببعث ولا حساب كحال أهل الجاهلية والمذاهب الهدامة من رأسمالية وشيوعية وعلمانية إلحادية، وأولئك لم يعرفوا قدر الحياة ولا تعدو نظرتهم لها أن تكون كنظرة البهائم. بل هي أضل سبيلاً، لأنهم ألغوا عقولهم وسخَّروا طاقاتهم وضيعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم ولا يبقون له، ولم يعملوا لمصيرهم الذي ينتظرهم ولا بد لهم منه، والبهائم ليس لها مصير ينتظرها وليس لها عقول تفكر بها بخلاف أولئك، ولهذا يقول تعالى فيهم:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[2].

العلم الحقيقي:

وقد وصف الله أهل النظرة المادية بعدم العلم قال تعالى:

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[3].

فهم وإن كانوا أهل خبرة في المخترعات والصناعات فهم جهال لا يستحقون أن يوصفوا بالعلم؛ لأن علمهم لم يتجاوز ظاهر الحياة الدنيا، وهذا علم ناقص لا يستحق أصحابه أن يطلق عليهم هذا الاسم الشريف فيقال العلماء، وإنما يطلق هذا على أهل معرفة الله وخشيته، كما قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[4].

ومن النظرة المادية للحياة الدنيا ما ذكره الله في قصة قارون وما آتاه الله من الكنوز:

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[5].

فتمنوا مثله وغبطوه ووصفوه بالحظ العظيم بناء على نظرتهم المادية، وهذا كما هو الحال الآن في الدول الكافرة وما عندهم من تقدم صناعي واقتصادي فإن ضعاف الإيمان من المسلمين ينظرون إليهم نظرة إعجاب دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر وما ينتظرهم من سوء المصير فتبعثهم هذه النظرة الخاطئة إلى تعظيم الكفار واحترامهم في نفوسهم والتشبه بهم في أخلاقهم وعاداتهم السيئة، ولم يقلدوهم في الجد وإعداد القوة والشيء النافع من المخترعات والصناعات.

---

(١) الآيتان ١٥-١٦ من سورة هود.

(٢) الآية (٤٤) من سورة الفرقان.

(٣) الآيتان (٦-٧) من سورة الروم.

(٤) الآية (٢٨) من سورة فاطر.

(٥) الآية (٧٩) من سورة القصص.



(ب) النظرة الصحيحة للحياة:

هي أن يعتبر الإنسان ما في هذه الحياة من مال وسلطان وقوى مادية وسيلة يستعان بها لعمل الآخرة فالدنيا في الحقيقة لا تذم لذاتها، وإنما يتوجه المدح والذم إلى فعل العبد فيها فهي قنطرة ومعبر للآخرة ومنها زاد الجنة، وخير عيش يناله أهل الجنة إنما حصل لهم بما زرعوه في الدنيا.

فهي دار الجهاد والصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله ومضمار التسابق إلى الخيرات يقول الله تعالى لأهل الجنة: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾[1]. يعني الدنيا.



س١: ما معنى النظرة المادية للحياة وما مفاسدها؟ وما النظرة الصحيحة للحياة مع الأدلة على ذلك؟

س٢: هل الدنيا تذم لذاتها، ولماذا؟

س٣: بم توعد الله أصحاب النظرة المادية للحياة مع الدليل؟

س٤: ما الدليل على نفي الله العلم عن أصحاب النظرة المادية، وكيف تجمع بين ذلك وبين خبرتهم في الصناعات والمخترعات؟

س٥: ما المقصود بالعلم الحقيقي مع الدليل؟

(١) الآية (٢٤) من سورة الحاقة.



الفصل الدراسي الثاني

الفصل السابع عشر: الحلف بغير الله والتوسل والاستعانة بالمخلوق

(أ) الحَلِفُ بغيـر اللّـه :

(أ) الحَلِفُ: هو اليمين-وهي توكيد الحكم بذكر معظَّم على وجه مخصوص.

وهو تعظيم للمحلوف به، وهذا التعظيم حق لله تعالى لايجوز الحلف بغـيره، فقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بأسمائه وصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره[1].

حكم الحلف بغير اللّه:

والحلف بغير الله شرك؛ لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **(من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)**[2] وهو شرك أصغر، إلا إذا كان المحلوف به معظماً عند الحالف إلى درجة عبادته له فهذا شرك أكـبر، كما هو الحال اليوم عند عباد القبور فإنهـم يخافون من يعظمون من أصحاب القبور أكـثر من خوفهم من الله وتعظيـمه بحيث إذا طلب من أحـدهم أن يحلف بالولي الذي يعظمه لم يحلف به إلا إذا كـان صادقـاً، وإذ طلب منه أن يحلف بـالله حلف به وإن كان كـاذباً، فـالحلف تعظيم للمحلوف به ولا يليق إلا بالله ويجب توقير اليمين بالله فلا يكثر منها قال تعالى:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾[4] أي: لا تحلفوا إلا عند الحاجة وفي حالة الصدق والبـر، لأن كثرة الحلف والكذب فيـه يدلان على الاستخفاف بالله وعـدم التعظيم له وهذا ينافي كمال التوحيد، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **(ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)** وجاء فيه: **(ورجل يجعل اللّه بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه)**[5].

ففيـه شدة الوعيد على كثـرة الحلف مما يدل على تحريمه احترامـاً لاسم الله تعالى وتعظيماً له سـبحانه وكذلك يحرم الحلف بالله كاذباً وقد وصف الله المنافقين بأنهم يحلفون على الكذب وهم يعلمون.

فتلخص من ذلك:

١ - تحريم الحلف بغير الله تعالى كالحلف بالأمانة أو الكعبة أو بالنبي ﷺ وأن ذلك شرك.

---

(١) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٣٠٣.
(٢) تقدم تخريجه في موضوع الشرك ص١٤.
(٣) الآية (١٠) من سورة القلم.
(٤) الآية (٨٩) من سورة المائدة.
(٥) رواه الطبراني في الكبير رقم ٦١١١ والصغير ج٢ ص ٢١ بسند صحيح.



٢ - تحريم الحلف بالله كاذباً متعمداً.

٣ - تحريم كثرة الحلف بالله ولو كان صادقاً إذا لم تدع إليه حاجة لأن هذا استخفاف بالله سبحانه.

٤ - جواز الحلف بالله إذا كان صادقاً وعند الحاجة.

(ب) التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى:

التوسل: هو التقرب إلى الشيء والتوصل إليه، والوسيلة القُرْبة، قال الله تعالى:

﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[1] أي القربة إليه سبحانه بطاعته واتباع مرضاته.

أقسام التوسل:

التوسل قسمان:

القسم الأول-توسل مشروع، وهو أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته كما أمر الله تعالى بذلك في قوله:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2].

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل كما قال تعالى عن أهل الإيمان: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾[3].

وكما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فَسَدَّت عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ففرَّج الله عنهم[4].

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده كما توسل يونس عليه السلام:

﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ﴾[5].

النوع الرابع: التوسل إلى الله بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله كما قال أيوب عليه السلام:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[6].

---

(١) الآية (٣٥) من سورة المائدة. (٢) الآية (١٨٠) من سورة الأعراف. (٣) الآية (١٩٣) من سورة آل عمران.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي ج٣ ص٣٧ وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال حديث ٢٧٤٣ ص٩٩-٢٠.

(٥) الآية (٨٧) من سورة الأنبياء.

(٦) الآية (٨٣) من سورة الأنبياء.



النوع الخامس: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء، كما كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس رضي الله عنه فيدعو لهم [١].

النوع السادس: التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب: قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾[٢] وقال تعالى حكاية عن آدم وزوجته: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٣].

القسم الثاني - توسل ممنوع:

وهو التوسل بما عدا الأنواع المذكورة في التوسل المشروع كالتوسل بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، والتوسل بجاه النبي ﷺ، والتوسل بذوات المخلوقين أو حقهم، وتفصيل ذلك كما يلي:

١- طلب الدعاء من الأموات:

وهذا لا يجوز، لأن الميت لا يقدر على الدعاء كما كان يقدر عليه في الحياة، وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومن بحضرتهما من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس ويزيد بن الأسود رضي الله عنهما، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا عند غيره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس ويزيد، وقد قال عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بِنَبِيِّنا فتسقينا وإنا نتوسل بعم نبينا فاسقنا، فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه.

وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا به[٤] يعني لو كان جائزاً، فَتَرْكُهُم لذلك دليل على عدم جواز التوسل بالأموات لا بدعائهم ولا بشفاعتهم فلو كان طلب الدعاء منه والاستشفاع به حياً وميتاً سواء، لم يعدلوا عنه إلى غيره ممن هو دونه.

٢- التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره:

حكمه: لا يجوز؛ لأنه لا يصح فيه دليل وهو عبادة، والعبادات لا تثبت إلا بدليل صحيح صريح.

وأما الحديث الذي فيه: (**إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**) فهو حديث مكذوب

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ج٢ ص١٥ وكتاب المناقب، باب ذكر العباس بن عبد المطلب ج٤ ص٢٠٩.

(٢) الآية (١٦) من سورة القصص. (٣) الآية (٢٣) من سورة الأعراف.

(٤) مجموع الفتاوى (١/٣١٨-٣١٩).

ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها. ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث[١]، وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ وهو أشرف الخلق فغيره من باب أولى.

٣- التوسل بذات المخلوقات:

حكمه: لا يجوز؛ لعدم ورود ما يدل على ذلك، والتوسل عبادة والعبادة يتوقف فيها عند النص، ثم إن المتوسل بذات المخلوق إن كان يقصد بالباء في قوله: أسألك بذات فلان القسم فهو إقسام به على الله تعالى، وإذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز ويُعَدُّ شِركًا كما في الحديث: **(من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)**[٢] فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جل وعلا.

وإن كانت الباء للسببية فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سبباً للإجابة ولم يشرعه لعباده.

٤- التوسل بحق المخلوق:

لا يجوز لأمرين: الأول: أن الله سبحانه لا يجب عليه حق لأحد، وإنما هو الذي يتفضَّل سبحانه على المخلوق بذلك كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] فكون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق فضل وإنعام، وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق.

الثاني: أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حق خاص به لا علاقة لغيره به فإذا توسل به غير مستحقه كان متوسلاً بأمر أجنبي لا علاقة له به وهذا لا يجديه شيئاً.

وأما الحديث الذي فيه: **(أسألك بحق السائلين)** فهو حديث لم يثبت لأن في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف مجمع على ضعفه كما قال بعض المحدثين، وما كان كذلك فإنه لا يحتج به في هذه المسألة المهمة من أمور العقيدة ثم إنه ليس فيه توسل بحق شخص معين وإنما فيه التوسل بحق السائلين عموماً وحق السائلين الإجابة كما وعدهم الله بذلك. وهو حق أوجبه على نفسه لهم لم يوجبه عليه أحد فهو توسل إليه بوعده الصادق لا بحق المخلوق.

(جـ) حكم الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق:

الاستعانة: طلب العون والمؤازرة في الأمر.

والاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/٣١٩). (٢) سبق تخريجه ص١٤.

(٣) الآية (٤٧) من سورة الروم.



فالاستغاثة والاستعانة بالمخلوق على نوعين:

النوع الأول: الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهذا جائز.

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾[1].

وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾[2].

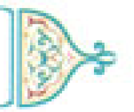
وكما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب وغيرها مما يقدر عليه المخلوق.

النوع الثاني: الاستغاثة والاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله كالاستغاثة والاستعانة بالأموات والاستغاثة بالأحياء والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء المرضى وتفريج الكربات ودفع الضر.

فهذا النوع غير جائز وهو شرك أكبر -وقد أمر النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما في وصيته له أن يتجه بالسؤال والاستعانة وطلب دفع الضر إلى الله وحده فقال ﷺ: (**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله....**)[3]. الحديث.

(١) الآية (٢) من سورة المائدة. (٢) الآية (١٥) من سورة القصص.

(٣) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة باب ٥٩ ج٤ ص ٦٦٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد ١/ ٢٩٣ ، ٣٠٧، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح حديث رقم ٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٤ (طبعة شاكر) والمستدرك للحاكم ٣/ ٥٤١، ٥٤٢، وقد شرح هذا الحديث الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتاب باسم (نور الاقتباس شرح وصية النبي ﷺ لابن عباس).



الأسئلة

س١: عرف الحلف، وما حكم الحلف بغير الله مع ذكر الدليل على ذلك؟

س٢: ما حكم الإكثار من الحلف، وما حكم الحلف بالله كاذباً مع الاستدلال؟

س٣: عرف التوسل، وما المراد بالوسيلة مع الدليل على ذلك؟

س٤: اذكر أنواع التوسل المشروع من خلال النصوص والآثار التالية:

١ - قال تعالى: ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ ﴾

٢ - قال تعالى: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

٣ - حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج.

٤ - قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾

٥ - قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

٦ - كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي أن يدعو لهم ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس فيدعو لهم.

س٥: بين الحكم فيما يأتي مع التعليل والاستدلال:

(أ) طلب الدعاء من الأموات. (جـ) التوسل بذات المخلوقين.

(ب) التوسل بجاه النبي ﷺ. (د) التوسل بحق المخلوق.

س٦: ما المراد بالاستعانة والاستغاثة؟

س٧: بين الحكم فيما يأتي مع الاستدلال.

(أ) الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه.

(ب) الاستغاثة بالأموات.

(جـ) الاستعانة بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله.



حسن الظن بالله من واجبات التوحيد:

لا يتم إيمان العبد وتوحيده حتى يعتقد جميع ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله، وتصديقه بكل ما أخبر به، وأن ما وعد به من نصر الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل سيقع. وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد؛ لأنها سوء ظن بالله وتنقص لكماله وتكذيب لخبره وشك في وعده.

وقد ذم الله من أساء الظن به، وأخبر عن المشركين أنهم يظنون به ظن السوء؛ قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1].

ووصف المنافقين بأنهم يظنون به غير الحق فقال تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[2]. قال ابن القيم في تفسير هذه الآية: وقد فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل. وفُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره ولا حكمة له فيه. فَفُسِّر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يُتمَّ أمر رسوله ويُظهره على الدين كله. وهذا هو ظن السوء المذكور في آية الفتح.

وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية، وظن غير الحق لأنه ظن لا يليق به سبحانه ولا بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة يضمحل معها الحق أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدَّره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته ومُوجَب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

---

(١) الآية (٦) من سورة الفتح.

(٢) الآية (١٥٤) من سورة آل عمران.



ثم ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ صوراً من سوء الظن بالله-غير ما سبق-منها:

١ - من قَنِطَ من رحمته، وأيس من رَوْحه فقد ظن به ظن السوء.

٢ - من ظن به أن يترك خلقه سُدى، معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله ولا ينزّل عليهم كتبه بل يتركهم هملاً كالأنعام فقد ظن به ظن السوء.

٣ - من ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظن به ظن السوء.

٤ - من ظن أنه لا سمع له ولا بصر، ولا علم له ولا إرادة، وأنه لم يكلم أحداً من الخلق ولا يتكلم أبداً، وأنه ليس فوق سماواته على عرشه بائناً من خلقه فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

٥ - من ظن أن له ولداً أو شريكاً أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويحبونهم كحبه ويخافونهم كخوفه فقط ظن به أقبح الظن وأسوأه.

٦ - من ظن بالله أن يخيب من تضرّع إليه وسأله رغبة ورهبة واستعان به وتوكل عليه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله.

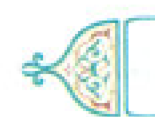
٧ - من ظن به - سبحانه وتعالى-أن يسلط على رسوله محمد ﷺ أعداءه دائماً في حياته وبعد مماته. وأنه ابتلاه بهم لا يفارقونه، فلما مات استبدوا بالأمر دون وصية، وظلموا أهل بيته وسلبوهم حقهم، وكانت العزة والغلبة والقهر لأعدائه وأعدائهم دائماً من غير ذنب لأوليائه وأهل الحق، وهو يرى قهرهم لهم وغصبهم إياهم حقهم وتبديلهم دين نبيهم، وهو يقدر على نصرة أوليائه وحزبه ولا ينصرهم، أو أنه لا يقدر على ذلك، بل حصل هذا بغير مشيئته ولا قدرته-تعالى عن ذلك- ثم جعل المبدلين لدينه مضاجعيه في حفرته، تسلم أمته عليه وعليهم كل وقت فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ولو فتشت من فتشته لرأيت عنده تعتباً على القدر وملامة له، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك:

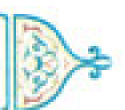
فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة   وإلا فإني لا إخالك ناجيا[1]

---

(١) انظر زاد المعاد ٣/٢٢٨-٢٣٦ باختصار. ويراجع للاستزادة من الأمثلة على سوء الظن.



الأسئلة



س١ : قارن بين حسن الظن بالله وسوء الظن به سبحانه.

س٢ : ممن يصدر سوء الظن بالله في الأصل؟ مع ذكر الدليل.

س٣ : بيّن ما هو سوء ظن من الأقوال التالية:

(أ) رجل رُزق مالاً كثيراً فقال آخر: إنه رزق بغير إرادة الله.

(ب) لن ينصر الله المسلمين في هذا العصر ولو تمسكوا بدينهم.

(جـ) الحق والباطل في صراع فينتصر الحق تارة والباطل تارة.

(د) الله ما يحب لي الخير.

س٤ : بيّن الطريق الصحيح للسلامة من سوء الظن بالله.

الفصل التاسع عشر
سب الدهر والريح

من الأشياء التي يرتكبها بعض الناس بحكم العادة وهي مما ينقص التوحيد، ويسيء إلى العقيدة مسبة الدهر، ومسبة الريح وما أشبه ذلك من إسناد الذم إلى المخلوقات فيما ليس لها فيه تصرف فيكون هذا الذم في الحقيقة موجهاً إلى الله- سبحانه وتعالى-لأنه الخالق المتصرف.

قال تعالى عن المشركين:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار**»[2].

أقسام سب الدهر:

ينقسم سب الدهر إلى ثلاثة أقسام، هي:

١ - أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسببه الدهر أنه هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً؛ لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقاً فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلهاً يستحق أن يعبد فهو كافر.

٢ - أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم ولا يصل إلى درجة الشرك الأكبر.

٣ - أن يقصد الخبر المحض دون اللوم فهذا جائز، مثل: أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه السلام: ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾[3].

وكان من شأن العرب في الجاهلية ذم الدهر وسبه عند النوازل، وتبعهم على هذا كثير من الفساق

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الجاثية.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الجاثية، حديث رقم ٤٨٢٦ وصحيح مسلم كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر حديث رقم (٢٢٤٦).

(٣) الآية ٧٧ من سورة هود.

فـفي هذه الآية وصف الله المهاجـرين بتـرك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونـصرة دينه وابتـغاء فـضله ورضـوانه، وأنهم صادقـون في ذلك. ووصف الأنصار بأنـهم أهل دار الهجـرة والنصرة والإيمان الصـادق ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين وإيثارهم على أنفـسهم ومواساتهم لهم وسلامتهم من الشح وبذلك حازوا على الفلاح.

هذه بعض فضـائلهم العامة، وهناك فضـائل خاصة ومراتب يَفْـضُلُ بها بعضهم بعـضاً، رضي الله عنهم وذلك بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجـرة، قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يـبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان[1].

تفاضل الصحابة:

أفضل الصحـابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمانَ رضي الله عنه ثم علي رضي الله عنه، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم طلحة رضي الله عنه والزبير رضي الله عنه وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وسعيد بن زيد رضي الله عنه، ويُفَضَّلُ المهاجرون على الأنصار، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، ويفضل من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح. قال تعالى:

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[2].

مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال والفتنة:

سبب الفتنة: تآمـر اليهود على الإسلام وأهله فاندسَّ فـيهم ماكرٌ خبيث تظاهـر بالإسـلام كذباً وزوراً هو عبد الله بن سبأ اليهودي، فأخذ هذا اليهودي ينفث حـقده وسمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين: عثمان رضي الله عنه وأرضاه، ويختـلق التهم ضده، فالتف حـوله من انخدع به من قاصري النظر وضـعاف الإيمان ومحبي الفتنة، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه مظلوماً، وعلى إثر مقتله حصل الاختلاف بين المسلمين وشبت الفتنة بتحريض من هذا اليهودي وأتباعه وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم.

قال شـيخ الإسلام ابن تيمـية ـ رحمه الله ـ: فلمـا قُتِل عثـمانُ رضي الله عنه تفرَّقت القلوب وعظمت الكروب، وظهرت الأشـرار وذلت الأخيـار، وسعى في الفتنة مـنْ كان عاجـزاً عنها، وعجـز عن الخيـر والصلاح من

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ص ٤٢٠.

(٢) الآية (١٠) من سورة الحديد.

كان يحب إقامتها، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ وأفضل من بقي، لكن كانت القلوب متفرقة، ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة، ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير ودخل في الفرقة والفتنة أقوام، وكان ما كان[1].

ومذهب أهل السنة والجماعة في الاختلاف الذي حصل والفتنة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة يتلخص في أمور:

الأمر الأول: أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة ويكفون عن البحث فيه، لأن طريق السلامة هو السكوت عن مثل هذا، ويقولون: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

الأمر الثاني: الإجابة عن الآثار المروية في مساويهم وذلك من وجوه:

الأول : أن هذه الآثار منها ما هو كذب قد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم.

الثاني : أن هذه الآثار منها ما قد زيد ونقص فيه وغُيِّر عن وجهه الصحيح ودخله الكذب، فهو محرف لا يلتفت إليه.

الثالث : أن ما صح من هذه الآثار -وهو القليل- هم فيه معذورون، لأنهم إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور، لما في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)**[3].

الأمر الثالث: أنهم بشر يجوز على أفرادهم الخطأ فهم ليسوا معصومين من الذنوب بالنسبة للأفراد، لكن ما يقع منهم فله مكفرات عديدة، منها:

١ - أن يكون قد تاب منه، والتوبة تمحو السيئة مهما كانت، كما جاءت به الأدلة.

٢ - أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم - إن صدر- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[4]. ولهم من الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ ما يغمر الخطأ الجزئي.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٤-٣-٥-٣٠٥).

(٢) الآية (١٠) من سور الحشر.

(٣) في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج٨ ص١٥٧ ومسلم كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ حديث ١٧١٦ ص١٣٤٢.

(٤) الآية (١١٤) من سورة هود.

٣ - أنهم تضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم ولا يساويهم أحد في الفضل وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به أفضل من جبل أحد ذهباً إذا تصدق به غيرهم[1] رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالى يغفر لهم بالتوبة ويرفع بها درجاتهم ويغفر لهم بحسنات ماحية أو بغير ذلك من الأسباب[2].

من مسالك أهل البدع وأعداء الدين استغلال ما حدث بين الصحابة:

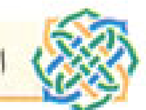
وقد اتخذ أعداء الله ما وقع بين الصحابة وقت الفتنة من الاختلاف والاقتتال سبباً للوقيعة فيهم والنيل من كرامتهم، وقد جرى على هذا المخطط الخبيث بعضُ الكُتّاب المعاصرين الذين يهرفون بما لا يعرفون فجعلوا أنفسهم حكماً بين أصحاب رسول الله ﷺ يصوِّبون بعضهم ويخطِّئون بعضهم بلا دليل، بل بالجهل واتباع الهوى وترديد ما يقوله المغرضون والحاقدون من المستشرقين وأذنابهم، حتى شككوا بعض ناشئة المسلمين ممن ثقافتهم ضحلة بتاريخ أمتهم المجيد، وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون لينفذوا بالتالي إلى الطعن في الإسلام وتفريق كلمة المسلمين، وإلقاء البغض في قلوب آخر هذه الأمة لأولها بدلاً من الاقتداء بالسلف الصالح والعمل بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[3].

---

(١) في الحديث المتفق عليه انظر: البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ج٤ ص١٩١ ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث ٢٥٤٠-٢٥٤١ ص١٩٦٧.

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٦٩/٣٥).

(٣) الآية (١٠) من سورة الحشر.



النهي عن سب الصحابة:

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وطاعة لرسول الله ﷺ في قوله: (**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه**)[2].

ويتبرؤون من الذين يسبون الصحابة رضي الله عنهم ويبغضونهم ويجحدون فضائلهم ويكفِّرون أكثرهم.

وأهل السنة يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ويعتقدون أنهم خير القرون كما قال النبي ﷺ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: (**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) قال عمران: لا أدري أذَكَرَ النبيُّ ﷺ بَعدُ قرنين أو ثلاثة الحديث[3].

قال أبو زرعة الرازي وهو من أجَلِّ شيوخ الإمام مسلم: إذا رأيت الرجل ينتقص امرءاً من الصحابة فاعلم أنه زنديق وذلك أن القرآن حق، والرسول حق وما جاء به حق، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق.

قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين: من سب أحداً من الصحابة مستحلاً كفر، وإن لم يستحل فسق، وعنه يكفر مطلقاً، ومن فَسَّقهم أو طعن في دينهم أو كَفَّرهم كفر[4]، وقال تعالى في شأن الصحابة رضي الله عنهم:

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾[5].

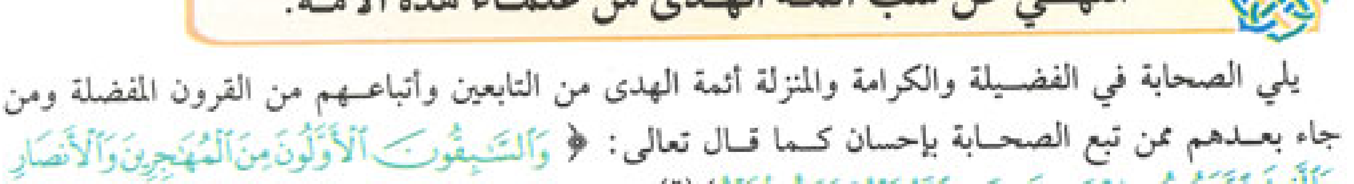
---

(١) الآية (١٠) من سورة الحشر (٢) الحديث متفق عليه تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) الحديث في الصحيحين البخاري كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ج٣ ص١٥١ رقم (٢٦٥١)، وانظر مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم حديث ٢٥٣٥ ص١٩٦٤.

(٤) شرح عقيدة السفاريني (٢/ ٣٨٨-٣٨٩). (٥) الآية (٢٩) من سورة الفتح.

وقد استدل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ بهذه الآية على تكفير الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم. قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه غيره من العلماء على ذلك[1].



النهـي عن سب أئمـة الهـدى من علمـاء هذه الأمـة:

يلي الصحابة في الفضـيلة والكرامة والمنزلة أئمة الهدى من التابعين وأتباعـهـم من القرون المفضلة ومن جاء بعـدهم ممن تبع الصحـابة بإحسان كـما قـال تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[2].

فلا يـجوز تنقـصهم وسـبهم، لأنهم أعـلام هدى، فقـد قـال تعـالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[3].

قال شـارح الطحاوية: فـيجب على كل مسلم بعد مـوالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كـما نطق به القرآن خـصوصاً الذيـن هم ورثة الأنبياء، الذين جـعلهم الله بمنزلة النجوم يهـتدى بهم في ظلمـات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

لهم الفضـل علينا، والمنة بالسبق وتبليغ مـا أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضـاح ما كان مـنه يخفى علينـا، فرضـي الله عنهـم وأرضاهـم ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

فإنهم خلفـاء الرسول في أمتـه، والمحيون لما مـات من سنته فبـهم قام الكتاب وبه قـاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وكلهم متفقون اتفاقـاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلابد له في تركه من عذر.

وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

الثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

الثالث: اعتقاده أن الحكم منسوخ[5].

---

(١) انظر كتاب: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيتمي ٢/٦٠٧ طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة. (٣) الآية (١١٥) من سورة النساء.

(٤) الآية (١٠) من سورة الحشر.

(٥) انظر شرح الطحاوية بتخريج الألباني ص ٤٩١ بتصرف.

والحَطُّ من قدر العلماء بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم هو من طريقة المبتدعة، ومن مخططات أعداء الأمة للتشكيك في دين الإسلام ولإيقاع العداوة بين المسلمين، ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، وبث الفرقة بين الشباب والعلماء كما قد يقع أحياناً، فليتنبه لذلك الذين يحطون من قدر الفقهاء ومن قدر الفقه الإسلامي ويزهدون في دراسته والانتفاع بما فيه من حق وصواب، فليعتزوا بفقههم وليحترموا علماءهم، ولا ينخدعوا بالدعايات المضللة والمغرضة والله الموفق.



الأسئلة

س١ : من أهل البيت؟ وما الذي يجب في حقهم؟ وما شرط ذلك مع الاستدلال؟

س٢ : ما حكم الغلو في حق أهل البيت؟ وما حكم الجفاء فيه؟

س٣ : ما المراد بالصحابة؟ وما الذي يجب اعتقاده فيهم مستدلاً لذلك؟

س٤ : مَنْ أفضلُ الصحابة؟ اذكر ترتيبهم حسب الأفضلية.

س٥ : ما سبب الفتن التي وقعت في عهد الصحابة؟

س٦ : ما الذي يعتقده أهل السنة في الصحابة الذين عاصروا الفتنة واقتتلوا فيها وما اعتذارهم عن ذلك؟

س٧ : ما حكم من سب الصحابة مع الاستدلال؟

س٨ : ما حكم سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة مستدلاً لما تقول؟

س٩ : ما الجواب عن خطأ بعض العلماء في بعض المسائل الفقهية؟



الفصل السابع

الفتـــــــن



معنى الفتــنة:

للفتنة معان عدة منها الضلال والمحنة، واختلاف الناس في الآراء[١].

وقد ابتلى الله عباده بالفتن قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[٢] وقال ﷺ: (تُعْرَضُ الفِتَنُ على القلوب كالحصير عُوداً عُوداً فأيُّ قلب أُشْرِبها[٣] نُكِتَ فيه نكتة سوداء وأيُّ قلب أنكرها[٤] نكت فيه نكته بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين على أبيض مثل الصفا[٥] فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مُرباداً[٦] كالكوز مُجخّياً[٧] لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه)[٨] وهذه الفتن تكون عذابًا لقوم ولقوم رحمة وتكفيرا للسيئات.

أنواع الفتن: الفتن التي يبتلي الله عباده بها كثيرة وهي ترجع إلى نوعين:

الأول : فتن شهوات كفتنة المال والنساء[٩].

الثاني : فتن شبهات كالأهواء التي أدت إلى ظهور البدع والقتال بين المسلمين وستحدث في موضوعنا هذا عن فتن الشبهات.

أسباب الفتن: للفتن أسباب منها:

(أ) اتباع الهوى وفساد القصد، قال الله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[١٠]. فالهوى يعمي ويصم ويجعل صاحبه يرى الحق باطلاً والباطل حقاً.

(ب) الإفرط والتفريط: فإن الغلو في الدين من أكبر أسباب الوقوع في الفتن، فما أوقع الخوارج في بدعتهم إلا الغلو، قال ﷺ: **(إياكم والغُلُوَّ في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغُلُوُّ في الدين حملهم على أن سفكوا دماءهم**

---

(١) انظر القاموس المحيط مادة فتن ص ١٥٧٥. (٢) سورة الأنبياء: آية ٣٥. (٣) أي: دخلت فيه دخولاً تاماً.

(٤) أي: ردها. (٥) الحجر الأملس الذي لا يعلق فيه شيء. (٦) المرباد: الملمع بسواد وبياض.

(٧) منكوساً أي: أن قلبه قُلِبَ حتى لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما وفق هواه.

(٨) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدا غريباً وسيعود غريباً كما بدا ١/١٢٨ ح٢٣١.

(٩) انظر للحديث عن فتن الشهوات: إغاثة اللهفان لابن القيم.

(١٠) سورة (ص) آية ٢٦.

واستحلوا محارمهم)[١] كما أن التفريط ومقابلة الغلو بالضد نتج عنه بدعة الإرجاء.

(جـ) اتباع المتشابه وترك المحكم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٢].

(د) الجهل بما جاء به النبي ﷺ (فقد تخفى آثار الرسالة في الأمكنة والأزمنة حتى لا يعرفوا ما جاء به الرسول ﷺ إما أن لا يعرفوا اللفظ وإما أن يعرفوا اللفظ ولا يعرفوا معناه، فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة. ومن هنا وقع الشرك وتفريق الدين شيعاً كالفتن التي تحدث بالسيف، فالفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة)[٣].

موقف المسلم من الفتن: حذر النبي ﷺ من الفتن وأرشد إلى ما يعصم منها وهو التمسك بسنته ﷺ، وبيّن ما على المسلم فعله وقت الفتن وإليك بيان بعض ذلك في النقاط الآتية:

(أ) التعوذ من الفتن، وذلك في كل صلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال)**[٤].

(ب) التمسك بالكتاب والسنة فإن التمسك بهما يقي العبد من الانحراف في عقيدته وعمله فلا يقع في فتنة فمن تمسك بهما وسار على هدى النبي ﷺ في دعوته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر عصم من الفتن. وإنما الفتنة في مخالفة هدي النبي ﷺ قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[٥].

وقال ﷺ: **(... أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنْ عَبْدٌ حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)**[٦].

(جـ) لزوم جماعة المسلمين وإمامهم إذا وقعت الفتن فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فيعتزل تلك الفرق كلها.

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ح ٣٠٢٩، ٢/ ١٠٠٨ والحاكم في المستدرك ١/ ٤٦٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) سورة آل عمران آية ٩. (٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ١/ ٤١٢ ح. ١٣ وانظر حديث أنس في التعوذ من الفتن في صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن ٨/ ٩٤ ح ٧٠٩٠. (٥) سورة طه آية ١٢٣.

(٦) رواه الترمذي في جامعه عن العرباض بن سارية كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٥/ ٤٤ ح٢٦٧٦ وقال: حديث حسن صحيح.

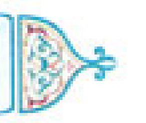
عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: **(نعم وفيه دخن)** قلت: وما دخنه؟ قال: **(قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)**، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: **(نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)**: قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: **(هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا)**. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: **(تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)** قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **(فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أنْ تَعضّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)**[1].

(د) الصبر على جور الولاة وعدم الخروج عليهم إلا إن وقع منهم كفر بواحٌ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ عينا: **(أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحًا عندكم من الله فيه برهان)**[2].

(هـ) ترك السعي في الفتنة بأي طريق وكلما كان الإنسان أبعد منها كان أسلم من الوقوع فيها:

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتنةٌ القاعدُ فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها. ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)**، قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: **(يعمد إلى سيفه فيدق على حَدِّه بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء)**.

اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟ قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: **(يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار)**[3].



الأسئلة

س١: عرف الفتنة، وما أنواعها؟

س٢: ما أسباب الفتن؟ مع ذكر الأدلة عى ذلك.

س٣: ما موقف المسلم من الفتن؟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٨/ ٩٢ ح٧٠٨٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ (سترون بعدي أموراً تنكرونها) ٨/ ٨٧ح٧٠٥٥.

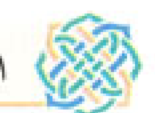
(٣) رواه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر ٤/ ٢٢١٢-٢٢١٣ ح٢٨٨٧.





مقدمـــــة:

تحرص المجتمعات على توثيق العلاقة بين الأفراد المنتمين لها وربطهم بوشائج من التقارب والتآلف والحقوق المشتركة، وربما نزع كثير منها إلى الغلو في حقوق أفرادها في مقابل هضم حقوق الآخرين، والغاية من دراسة هذا الموضوع: بيان ما يجب على المسلم تجاه إخوانه ومجتمعه وأمته، وما يجب عليه تجاه غير المسلمين.



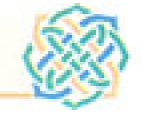
١ - تعريف الولاء والبراء:

الولاء في اللغة مصدر والى فلاناً بمعنى أحبه وناصره وقرب منه.

وفي الشرع: القرب من المسلمين بمودتهم ومناصرتهم.

والبراء في اللغة يطلق على معانٍ منها: التباعد من الشيء ومفارقته.

وفي الشرع: التباعد من الكفر واجتناب مشابهة أهله في عقائدهم وأعمالهم الباطلة وعدم مناصرتهم على المسلمين.



٢ - مكانة الولاء والبراء في الإسلام:

إن من لوازم التوحيد أن توالي أهله وتتبرأ ممن عادى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1]،

(١) الآية (٥٥-٥٦) من سورة المائدة.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾[1] الآية، وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[2].

كما أن للولاء والبراء في السنة مكانةً عظيمةً فهُما منْ أوثق عُرَى الإيمان، كما في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(أوثقُ عُرَى الإيمان الحُبُّ في الله والبُغْضُ في الله)**[3].

فتبين من هذه الأدلة وجوب موالاة المؤمنين والبراءة من أعدائهم وبيان ما في ذلك من الخير الكثير.

٣- من لوازم موالاة المؤمنين:

أ- الأخوة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[4] وقال ﷺ: **(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)**[5] فيجب على كل مسلم أن يرعى حق الأخوة؛ ومن تحقيق هذه الأخوة الوقوف مع المسلمين في حال اليسر والعسر والرخاء والشدة، وحب الخير لهم، والتعرف على أحوالهم، والاهتمام بقضاياهم وبذل الوسع والجهد في نصرتهم.

قال رسول الله ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى)**[6] وقال ﷺ: **(إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك ﷺ أصابعه)**[7].

---

(١) الآية (١) من سورة الممتحنة. (٢) الآية (٢٢) من سورة المجادلة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٨٠، برقم (٣٤٣٣٨) والطيالسي في مسنده ١٥/ ١٠٦ وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٩٩٨).

(٤) الآية (١٠) من سورة الحجرات.

(٥) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ح٢٥٦٤.

(٦) رواه البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم برقم (٦٠١١) ومسلم كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٧) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره. ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين برقم (٢٥٨٥).

ب-المناصرة:

وهي معاونتهم بالنفس والمال حسب الاستطاعة قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾[1]. وقال الرسول ﷺ: **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله أنصره إن كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره، قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره)**[2]، فَمِنْ نُصْرَتِهِ أن يمنعه من الباطل ويحميه منه بالحكمة والرفق.

ج- المناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۢ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[3] وقوله ﷺ: **(الدين النصيحة قالها ثلاثاً، قلنا: لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)**[4].

د. السمع والطاعة لولاة الأمر:

إن وحدة المسلمين وأمنهم مطلب أساس في حياتهم، وهذا ما لا يمكن تحصيله إلا بالسمع والطاعة لولاة الأمر، والتزام الجماعة، ولذا فإن طاعة ولاة الأمر من مقتضيات موالاة المؤمنين قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍۢ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[5].

---

(١) الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٢) رواه البخاري كتاب الإكراه باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه... ح ٦٩٥٢.

(٣) الآية (٧١) من سورة التوبة.

(٤) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة برقم (٥٥).

(٥) الآية (٥٩) من سورة النساء.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على عظم شأن اجتماع كلمة المسلمين ووحدتهم ولزوم جماعتهم، وحذرت من التفرق ونهت عن الخروج عن جماعة المسلمين وإمامهم، قال تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: **(دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأَثَرَة علينا وأن لا نُنازع الأمر أهله إلا أن ترو كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)**[2] وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **(من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية)**[3].

٤- الفرق بين المداهنة والمداراة:

المداهنة هي: المصانعة مع ترك المناصحة، حيث يترك المداهن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتغافل عن ذلك لغرض دنيوي أو هوىً نفسي.

وقد حذر الله رسوله ﷺ مما طلبه المشركون منه من المداهنة حيث قال تعالى:

﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[4].

المداراة: هي الملاينة التي تُدرأ بها المفسدة والشر ويكون ذلك بالقول اللين وترك الغلظة والإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو خيف من حصول شر أكبر مما هو مقترف أو كان ممن ترجى هدايته.

---

(١) الآية (٣-١٠) من سورة آل عمران.

(٢) رواه البخاري كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ح٧١٩٩ ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء، ح ٤٧٦٨ واللفظ له.

(٣) رواه البخاري كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة، ح ٧١٤٣ ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ح ١٨٤٩ واللفظ له.

(٤) الآية (٩) من سورة القلم.



٥- نماذج من الولاء والبراء:

أ- **من نماذج الموالاة في الله:** موقف الأنصار- رضي الله تعالى عنهم-من إخوانهم المهاجرين- رضي الله عنهم والذي ذكره الله بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ ﴾ أي سكنوا دار الهجرة وآمن كثير منهم قبل كثير من المهاجرين وهم الأنصار ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ أي لا يجدون حسداً لإخوانهم على ما آتاهم الله من فضله، ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي يقدمون المحاويج على أنفسهم ولو كانوا هم محتاجين، فيقدمون دفع حاجة إخوانهم على دفع حاجة أنفسهم.

ب- **من نماذج البراء:** في حق الذين قاتلوا المسلمين وآذوهم ما ورد في سورة الممتحنة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

أما الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم فإن الله لم ينه عن برهم والإقساط إليهم كما قال سبحانه:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[3].

٦- الاستعانة بغير المسلمين:

(أ) يجوز للمسلم أن يستعين بغير المسلم في بعض أمور حياته إذا وثق به، فقد استعان ﷺ وأبو بكر- رضي الله عنه- بعبد الله بن أريقط الدؤلي ولم يكن مسلماً ليدلهما في سفر الهجرة، كما استعان ﷺ بغير المسلمين في زراعة أرض خيبر لخبرتهم بذلك، وجعل لهم شطر ما يخرج منها، وبناءً على ذلك لا يزال المسلمون يستفيدون من خبرات غيرهم في الطب والحساب والفلك والتجارة وغير ذلك.

---

(١) الآية (٩) من سورة الحشر.

(٢) الآية (٩) من سورة الممتحنة.

(٣) الآية (٨) من سورة الممتحنة.

(ب) يجوز لولي أمر المسلمين الاستعانة بغير المسلمين إذا وثق بهم وكان بالمسلمين حاجة لذلك، قال ابن القيم: (الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة؛ لأن عين النبي ﷺ في الحديبية كان غير مسلم من خزاعة، ويرى الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن الانتفاع بغير المسلمين في بعض أمور الدين ليس مذموماً لقصة الخزاعي)[1].

(ج) لا يجوز أن يجعل لغير المسلم سلطة عامة على المسلمين؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك بقوله: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[2]. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾[3].

٧- التعامل مع غير المسلمين:

وهم من حيث التعامل معهم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المعاهدون على إقرارهم على دينهم وإقامتهم في بلاد المسلمين وتحت حمايتهم، وهؤلاء يجب الوفاء لهم بالعهد فلا يجوز الاعتداء عليهم في دمائهم وأموالهم أو حقوقهم؛ لأنها معصومة لا يحل شيء منها إلا بوجه شرعي؛ لقوله ﷺ: **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)**[4] وقوله ﷺ: **(ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة)**[5].

النوع الثاني: المعاهَدون على كَفِّ القتال والمستأمَنون وهم الذين لهم أمان، كسفراء الدول غير المسلمة والرسل والمندوبين ومن قدم لتجارة أو لمعرفة الإسلام فهؤلاء يحترمون في دمائهم وأموالهم وحقوقهم لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾[6].

---

(١) ملحق مصنفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بعض فوائد صلح الحديبية ص٧.

(٢) آية (١٤١) من سورة النساء.

(٣) آية (١١٨) من سورة آل عمران.

(٤) رواه البخاري كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، برقم (٣١٦٦).

(٥) رواه أبو داود كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة، برقم (٣٠٥٢).

(٦) آية (٦) من سورة التوبة.



ولقوله عليه الصلاة والسلام : (**إني لا أخيس «أي أنقض» بالعهد ولا أحبس البُرُد**)[1] .

النوع الثالث: المحاربون والمعتدون وهؤلاء قد أمر الله برد عدوانهم وقتالهم، قال تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[2] .

٨- نماذج من التعامل مع غير المسلمين:

أ- ما أمر الله به من الإحسان إلى الوالدين وإن كانا مشركين، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾[3]. وقال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: (**صِلِي أمك**) حين سألته عن صلتها وهي مشركة[4]، وأهدى عمر رضي الله عنه لأخيه حلّة قبل أن يسلم [5] .

ب- عدم إكراههم في الدين أو سب آلهتهم؛ لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ ﴾[6] وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[7] .

ج- عيادة مريضهم ورعاية جوارهم بالإحسان إليهم؛ لقوله ﷺ (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**)[8] وهذا عام للمسلم وغيره.

وقد ذكر أهل العلم أن الجار المشرك له حق الجوار أخذاً من قوله تعالى:

﴿ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾[9] (ولأن النبي ﷺ كان عنده غلام يهودي يخدمه فمرض فأتاه يعوده. .)[10] .

---

(١) رواه أبو داوود كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجن به في العهود، برقم (٢٧٥٨)، والبُرُد : الرُّسُل.

(٢) آية (١٩٠) من سورة البقرة.

(٣) آية (١٥) من سورة لقمان

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، برقم (٥٩٧٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الأخ المشرك، برقم (٥٩٨١).

(٦) آية (٢٥٦) من سورة البقرة.

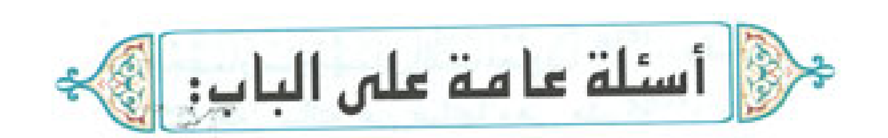
(٧) آية (١٠٨) من سورة الأنعام.

(٨) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف. . . ، برقم (٤٨).

(٩) آية (٣٦) من سورة النساء. (١٠) رواه البخاري، كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ برقم (١٣٥٦).

د- جواز الاتجار مع غير المسلمين حتى مع الحربيين، فلكل منهم دخول بلاد الآخر بأمان للتجارة؛ لأنه ﷺ أذن لِثُمَامة بن أثال الحنفي أن يبيع الطعام من اليمامة لأهل مكة. فهذا التعامل جائز مع المحاربين كما جاز مع أهل الذمة بدليل أنه ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي[1].

ويتلخص من هذا أن المحاربين من الكفار هم الذين يتصدى لهم المسلمون بالحرب، أما غير المحاربين من المعاهدين والمستأمنين فإن برهم والإحسان إليهم والتعامل معهم (ليس من الموالاة والمودة المنهي عنها، بل هو من الإحسان الذي يحبه الله ويرضاه وكتبه على كل شيء)[2].



أسئلة عامة على الباب:

س١. عرف الولاء والبراء.

س٢. بيِّنْ مكانة الولاء والبراء في الإسلام.

س٣. بيِّنْ لوازم موالاة المؤمنين.

س٤. ما الفرق بين المداهنة والمداراة؟

س٥. اذكر نموذجاً من الولاء.

س٦. اذكر نموذجاً من البراء.

س٧. ما حكم الاستعانة بغير المسلمين؟

س٨. اذكر أقسام غير المسلمين من حيث التعامل.

س٩. اذكر نماذج من التعامل مع غير المسلمين.

---

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالنسيئة، برقم (٢٠٦٨).

(٢) كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم ص١٠٣.

الباب الخامس

في البـــدع

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول : تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها.

الفصل الثاني : ظهور البدع في حياة المسلمين، والأسباب التي أدت إليها ومفاسدها.

الفصل الثالث : موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة، ومنهج السلف في الرد عليهم.

الفصل الرابع : نماذج من البدع المعاصرة وهي:

١- الاحتفال بالمولد النبوي.

٢- التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص.

٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله.



الفصل الأول: تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها



تعريفها:

البدعة في اللغة: مأخوذة من البدع وهوالاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] أي مخترعها على غير مثال سابق، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2] أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل. ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبق إليها.

البدعة في الشرع: ما أُحْدِثَ في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة وعمل.



أقسام الابتداع:

الابتداع قسمان:

ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة، وابتداع في الدين وهذا محرم؛ لأن الأصل فيه التوقيف، قال ﷺ: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)[3] وفي رواية: (**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**)[4].



أنواع البدعة:

البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة عملية كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أقسام:

١- ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياماً غير مشروع أصلاً أو أعياداً غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

٢- ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

٣- ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

---

(١) الآية (١١٧) من سورة البقرة. (٢) الآية (٩) من سورة الأحقاف. (٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم (٢٦٩٧).
(٤) تقدم تخريجه ص١٠٢.

٤- ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:

كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة، لقوله ﷺ: **(وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)**[1] وقوله ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[2]، وفي رواية: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**[3] فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة.

فمنها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية.

ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس[4].

تنبيه: حكم تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة:

من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فهو مخطئ ومخالف لقوله ﷺ: **(فإن كل بدعة ضلالة)** لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة، قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: فقوله ﷺ: **(كل بدعة ضلالة)** من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)** فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة. والدين بريء منه سواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة. انتهى[5].

---

(١) جزء من حديث طويل عن العرباض بن سارية ﷺ رواه أبوداود كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث ٤٦٠٧ والترمذي كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع حديث ٢٦٧٦ وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وأحمد وغيرهم، وقال البزار: حديث ثابت صحيح، وقال ابن عبدالبر: حديث ثابت.

(٢) تقدم تخريجه آنفاً. (٣) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص١٠٢.

(٤) انظر الاعتصام للشاطبي ٢/ ٣٧. (٥) جامع العلوم والحكم ص ٢٣٣.



حجة أصحاب هذا التقسيم والرد عليهم:

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: **(نعمت البدعة هذه)**. وقالوا أيضاً: إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك أن هذه الأمور لها أصل في الشرع فليست محدثة، وقول عمر: (نعمت البدعة)، يريد البدعة اللغوية لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل إنه بدعة فهو بدعة لغة لا شرعاً.

وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوباً متفرقاً فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد، حفظاً له، والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه وتخلف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إمام واحد كما كانوا خلف النبي ﷺ وليس هذا بدعة في الدين.

وكتابة الحديث أيضاً لها أصل في الشرع فقد أمر النبي ﷺ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما توفي ﷺ انتفى هذا المحظور، لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته ﷺ، فدون المسلمون الحديث بعد ذلك حفظاً له من الضياع، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ من الضياع وعبث العابثين.



س١: عرف البدعة لغة وشرعاً.

س٢ ما حكم البدع في العادات والعبادات مع الاستدلال؟

س٣: اذكر أنواع البدع في الدين.

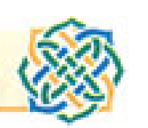
س٤: ما حكم البدعة في الدين مستدلاً في ذلك؟

س٥: كيف ترد على من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة؟





الفصل الثاني ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إليها ومفاسدها



ظهور البدع في حياة المسلمين وتحته مسألتان:

المسألة الأولى-وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: (**من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**)[1]. وقد أنكر الصحابة على أهل هذه البدع[2].

المسألة الثانية-مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحَرَمان-مكة والمدينة-، والعِرَاقان-الكوفة والبصرة-، والشام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار أصول البدع غير المدينة النبوية، وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدارالنبوية، وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور هذه البدع وإن كان بها من هو مضمر لذلك فكان عندهم مهاناً مذمومًا.

فأما العصور الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة كما خرج من سائر الأمصار، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخلها[3] ولم يزل العِلم والإيمان ظاهراً إلى زمن أصحاب مالك وهم من أهل القرن الرابع[4].

---

(١) تقدم تخريجه في حكم البدعة ص١٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥٤).

(٣) عن أنس بن مالك ﷺ قال: (المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال قال: ولا الطاعون إن شاء الله) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة ج٩ ص١٠٣ وفي مواطن أخرى كثيرة وانظر مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال حديث ١٣٧٩.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٠٠-٣٠٣)، بتصرف وينصح بمراجعته للاستزادة منه.

الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[1].

وقد وضح ذلك النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: (خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: هذا سبيل الله ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: وهذه سُبُلٌ -قال يزيد: متفرقة- على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ:
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[2].

فمن أعرض عن الكتاب والسنة تنازعته الطرق المضللة والبدع المحدثة.

وتتلخص الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع في الأمور التالية:

(أ) الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قَلَّ العلم وفشا الجهل، كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: (من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)[3]، وقوله: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فَسُئلوا فأفتوا بغير علم فضَلُّوا وأضَلُّوا)**[4] فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، فإذا فقد العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

(ب) اتباع الهوى:

من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه كما قال تعالى:
﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾[5].

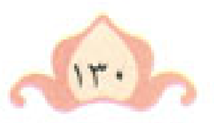
وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[6]. والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

---

(١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام. (٢) رواه أحمد ج ١ ص ٤٣٥، ٤٦٥ وابن حبان والحاكم. (٣) سبق تخريجه ص١٢٧.

(٤) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم ج١ ص ٣٣ ومسلم كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان حديث ٢٦٧٣ ص ٢٠٥٨ .

(٥) الآية (٥٠) من سورة القصص. (٦) الآية (٢٣) من سورة الجاثية.



(جـ) التعصب للآراء والرجال:

يحول التعصب للآراء والرجال بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى:
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[1].

وهذا هو الشأن في المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب الصوفية والقبوريين إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

(د) التشبه بالكفار:

هو من أشد ما يوقع في البدع كما في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حُدَثَاءُ عهد بكفر، وللمشركين سِدرةٌ يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعلْ لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:
﴿ قَالُوا يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[2] لتركبن سنن من كان قبلكم»[3].

ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها، وهو الذي حمل بعض أصحاب محمد أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، وهذا نفس الواقع اليوم فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات كأعياد الموالد وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة والاحتفال بالمناسبات والذكريات وإقامة التماثيل والنصب التذكارية وإقامة المآتم وبدع الجنائز، والبناء على القبور وغير ذلك.

مفاسد البدع:

لظهور البدع وانتشارها مفاسد كثيرة، ويترتب عليها محاذير عظيمة، منها:

١- أن فيها تكذيبًا لقول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[4]؛ لأنه إذا جاء ببدعة جديدة يعتبرها ديناً؛ فمقتضاه أن الدين لم يكمل.

٢- أنها تستلزم القدح في الشريعة، وأنها ناقصة، فأكملها هذا المبتدع.

---

(١) الآية (١٧٠) من سورة البقرة. (٢) الآية (١٣٨) من سورة الأعراف.

(٣) رواه أحمد ج٥ ص٢١٨، والترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم حديث ٢١٨٠ وقال: حسن صحيح.

(٤) الآية (٣) من سورة المائدة.



٣ - أنها تستلزم القدح في المسلمين الذين لم يأتوا بها؛ فكل من سبق هذه البدع من الناس دينهم ناقص! وهذا خطير !!

٤ - الانشغال عن السنن لأن الغالب أن من اشتغل ببدعة؛ انشغل عن سنة؛ كما قال بعض السلف: «ما أحدث قوم بدعة، إلا هدموا مثلها من السنة».

٥ - أن هذه البدع توجب تفرق الأمة؛ لأن هؤلاء المبتدعة يعتقدون أنهم هم أصحاب الحق، ومن سواهم على ضلال!! وأهل الحق يقولون: أنتم الذين على ضلال! فتتفرق قلوبهم.

فهذه مفاسد عظيمة، كلها تترتب على البدعة من حيث هي بدعة، مع أنه يتصل بهذه البدعة سفه في العقل وخلل في الدين[1].



أسئلة

س١ : حَدِّدْ الوقت الذي ظهرت فيه البدع.

س٢ : اذكر الأماكن التي ظهرت فيها البدع والمكان الذي لم تظهر فيه، وما مرجع ذلك؟

س٣ : ما الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع؟

س٤ : اذكر بعض مفاسد البدع ومحاذيرها العظيمة.

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثيمين ٢/٣١٦-٣١٧.



الفصل الثالث

موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة ومنهج السلف في الرد عليهم



١ - موقف السلف من المبتدعة:

ما زال السلف يردون على المبتدعة وينكرون عليهم بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها وإليك نماذج من ذلك:

(أ) عن أم الدرداء رضي الله عنها-قالت: دخل عَلَيَّ أبو الدرداء مغضباً فقلت له: مالك، فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد-ﷺ- إلاَّ أنهم يصلون جميعاً[١].

(ب) عن عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه فقال: كُنَّا نجلس على باب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخَرَجَ عليكم أبو عبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلاَّ خيراً، قال: وما هو، قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حِلَقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبِّروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هلِّلوا مائة فيُهلِّلون مائة فيقول: سبِّحوا مائة، فيُسبِّحون مائة، قال: فماذا قلت لهم، فقال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك، أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فَعُدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامن من أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا باب الضلالة، قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة:

---

(١) رواه البخاري كتاب الأذان باب فضل صلاة الفجر في جماعة ج ١ص١٥٩.

رأينا عامة أولئك يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج[1].

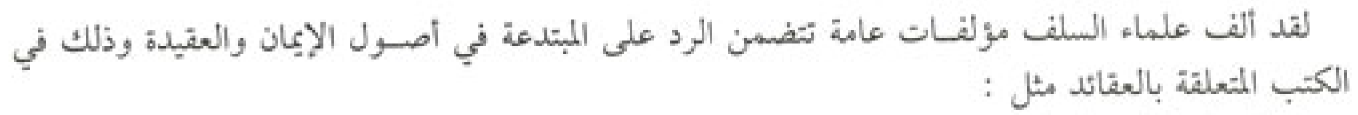
(جـ) جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال: من أين أُحْرِمُ، فقال: من الميقات الذي وقّت رسول الله ﷺ وأحرم منه، قال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه، فقال مالكٌ: لا أرى ذلك، فقال: ما تكره من ذلك، قال: أكره عليك الفتنة، قال: وأيُّ فتنة في ازدياد الخير فقال مالك: فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]. وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ[3].

(د) عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة، قال: لا ولكن يعذبك على خلاف السنة[4]. هذه نماذج ولا زال العلماء ينكرون على المبتدعة في كل عصر والحمد لله.

٢- منهج السلف في الرد على أهل البدع:

منهجهم في ذلك المنهج المقنع المفحم المبني على الكتاب والسنة، حيث يستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن والنهي عن البدع والمحدثات إجمالاً ثم يوردون شبه المبتدعة وينقضونها.

المؤلفات في البدع والرد على المبتدعة:



لقد ألف علماء السلف مؤلفات عامة تتضمن الرد على المبتدعة في أصول الإيمان والعقيدة وذلك في الكتب المتعلقة بالعقائد مثل:

(١) كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ.

(٢) كتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري ـ رحمه الله ـ.

(٣) كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة للإمام ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ.

(٤) كتاب الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ـ رحمه الله ـ.

كما ألفوا كتبًا خاصة في الرد على أهل البدع منها:

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ.

---

(١) رواه الدارمي المقدمة باب في كراهية أخذ الرأي حديث ٢٠٤.

(٢) الآية (٦٣) من سورة النور.

(٣) ذكره أبو شامة في كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث نقلاً عن أبي بكر الخلال ص ١٤.

(٤) رواه الدارمي ج١ ص١١٦ والبيهقي في السنن الكبرى ج٢ ص ٤٦٦ بسند صحيح.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءاً كبيراً منه.

(٣) إنكار الحوادث والبدع لابن وضاح ـ رحمه الله ـ .

(٤) الحوادث والبدع للطرطوشي ـ رحمه الله ـ .

(٥) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ـ رحمه الله ـ .

كما ألفت كتب معاصرة في موضوع البدع، منها : ـ

١- كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ـ رحمه الله ـ.

٢- كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي رحمه الله .

٣- رسالة التحذير من البدع للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ.

٤- القول المبين في رد بدع المبتدعين للشيخ عبد الله الخليفي ـ رحمه الله ـ.

ولايزال علماء المسلمون - والحمد لله- ينكرون البدع ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخطب الجمع والندوات والمحاضرات مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين.



أسئلة

س١ : بيِّن موقف أهل السنة من المبتدعة واذكر نماذج لذلك.

س٢ : وضِّح منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع.

س٣ : اذكر شيئاً من الكتب المؤلفة في الرد على أهل البدع.



نماذج من البدع المعاصرة

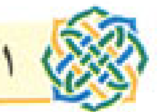
وهي:

١- الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ.

٢- التبرك بالأماكن والآثار والأموات ونحو ذلك.

٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله.

البدع المعاصرة كثيرة بحكم تأخر الزمن وقلة العلم وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات وسريان التشبه بالكفار في عاداتهم وطقوسهم مصداقاً لقوله ﷺ: **(لتركبن سنن من كان قبلكم)**[١].



١- الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ:

أ- إن من الواجب على كل مسلم محبة النبي ﷺ، إذ هي من أصول الدين الذي لا يتم الإيمان إلا به وعلى ذلك انعقد إجماع المسلمين، وكيف لا تجب محبته ﷺ وهو الذي أحبه الله تعالى واصطفاه وطهره وعصمه، وفضله على جميع ولد آدم، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأنبياء قبله. وهو الذي كمل الله به الرسالة، وهدى به من الضلالة، وألَّف به بعد الفُرْقة، وأغنى به بعد العيلة؛ فأصبح الناس بنعمة الله عز وجل إخواناً قال الله عز وجل ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٢]. ولا يحصل كمال الإيمان حتى يحب المسلم نبيه ﷺ أكثر من نفسه كما في الحديث: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِه وَوَالِدِه وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**[٣]. وحديث: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الآنَ يَا عُمَرُ[٤].

---

(١) تقدم تخريجه ص١٣١. (٢) آية (١٦٣) من سورة آل عمران. (٣) تقدم تخريجه ص٩٧.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٦٦٣٢).

وعلامة صدق محبته ﷺ تكون في اتباعه والتمسك بسنته، والتخلق بأخلاقه، كما بيّن الله ذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]. وقد سبق الكلام مطولاً ومفصلاً في بيان محبته ﷺ وتعظيمه وبيان منزلة ووجوب طاعته والاقتداء به وتعظيم سنته واتباعها وفضل الصلاة والسلام عليه ـ في الباب الثالث من هذا الكتاب.

ب- إن مما يؤسف له أن بعض المسلمين اليوم إما مقصر في حقوق المصطفى ﷺ فتراه ضعيف الاتباع لسنته قليل الصلاة والسلام عليه، أو واقع في الإطراء والغلو الذي لا يرضاه النبي ﷺ لما فيه من وَصْفه ﷺ بما لا يكون إلا لله عز وجل أو الابتداع لأجل محبته مالم يشرعه الله ولا رسوله، وقد قال ﷺ: «**من عملَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2]. متفق عليه، ومن ذلك: الاحتفال بمناسبة مولده ﷺ، فهو حرام؛ لأنه من البدع المحدثة، ولم يقل به أحد من الأئمة المعتبرين أو أهل العلم الراسخين، وهو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بمولد المسيح، فيحتفل بعض المسلمين في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول ﷺ، فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد، ومنهم من يقيمه في البيوت أو الأمكنة المعدّة لذلك، ويحضر جموع كثيرة من دهماء الناس وعوامهم، يعملون ذلك إما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً وإما تشبهاً بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام وبعض هذه الاحتفالات، علاوة على كونه بدعة وتشبهاً بالنصارى لا يخلو من الشركيات والمنكرات كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول ﷺ إلى درجة دعائه من دون الله والاستغاثة به، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو في مدحه فقال: (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**)[3]. وربما يعتقدون أن الرسول ﷺ يحضر احتفالاتهم.

ومن المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات الأذكار البدعية والأناشيد الجماعية المنغمة وضرب الطبول، وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة، وقد يكون فيها اختلاط الرجال والنساء مما يسبب الفتنة ويجر إلى الوقوع في الفواحش وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام في إظهار الفرح -كما يقولون- فإنه بدعة محدثة (**وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**) وأيضاً هو وسيلة إلى أن يتطور ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات.

---

(١) آية (٣١) من سورة آل عمران.

(٢) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص١٠٢.

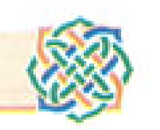
(٣) رواه البخاري وتقدم تخريجه ص٦٠.

وقلنا: إنه بدعة؛ لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخراً بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه العُبيديون الباطنيون المتسمون بالفاطميين -زعموا-.

قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله: أما بعد، فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبيناً والإيضاح عنه معيناً، فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان[2].

وقد أُلف في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وجديدة[3]، وهو علاوة على كونه بدعة وتشبهاً فإنه يجر إلى إقامة موالد كموالد الأولياء والمشائخ والزعماء، فيفتح أبواب شر كثيرة.



٢- التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياءً وأمواتاً:

من البدع المحدثة التبرك بالمخلوقين فهي شبكة يصطاد بها المرتزقة أموال السذج من الناس.

والتبرك: طلب البركة وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة ويثبتها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها ولا على إبقائها وتثبيتها.

---

(١) رسالة المورد في عمل المولد. (٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٥) بتحقيق الدكتور ناصر العقل.

(٣) مثل: ١-التحذير من البدع للشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله. ٢- الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع لمحمد بن سعد بن شقير. ٣ - المورد في عمل المولد لتاج الدين الفاكهاني رحمه الله. ٤- حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من أجازه للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.



حكم التبرك:

التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً لا يجوز لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة أو يجلب العافية ويزيد الرزق أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيارته وملامسته والتمسح به سبب لحصولها من الله، وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي ﷺ وريقه وما انفصل من جسمه ﷺ كما تقدم[1]، فذلك خاص به ﷺ في حال حياته ووجوده بينهم، بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها، ليتبركوا بها، وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وغيرهما من أفاضل الصحابة لا في الحياة ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء لِيُصَلُّوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء، وأيضاً فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائماً لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا الموضع الذي صلى فيه النبي بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله فكيف بما يقال أن غيره صلى فيه أو نام عليه، فتقبيل شيء من ذلك والتمسح به قد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعته ﷺ[2].

٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله:

البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة، والأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع شيء منها إلا بدليل، وما لم يدل عليه دليل فهو بدعة؛ لقوله ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**[3].

والعبادات التي تمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جداً، منها:

الجهر بالنية للصلاة: بأن يقول نويت أن أصلي لله كذا وكذا، هذه بدعة، لأنه ليس من سنة النبي ﷺ، ولأن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ

(١) في موضوع مقتضيات محبته ﷺ.

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٥-٨٠٢) تحقيق الدكتور ناصر العقل.

(٣) رواه مسلم وتقدم تخريجه ص١٠٢.

﴿عَلِيمٌ﴾[1] والنية محلها القلب، فهي عمل قلبي لا عمل لساني.

ومنها الذكر الجماعي بعد الصلاة، لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفرداً.

ومنها طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء وللأموات.

ومنها إقامة المآتم على الأموات وصناعة الأطعمة واستئجار المقرئين يزعمون أن ذلك من باب العزاء أو أن ذلك ينفع الميت، وكل هذه بدع لا أصل لها وما أنزل الله بها من سلطان.

ومنها الاحتفال بالمناسبات الدينية كمناسبة الإسراء والمعراج ومناسبة الهجرة النبوية، والاحتفال بتلك المناسبات لا أصل له من الشرع.

ومن ذلك ما يفعل في شهر رجب كالعمرة الرجبية وما يفعل من العبادات الخاصة به كالتطوع بالصلاة والصيام فيه خاصة، فإنه لا ميزة له على غيره من الشهور لا في العمرة والصيام والذبح للنسك فيه ولا غير ذلك.

ومن ذلك الأذكار الصوفية بأنواعها، كلها بدع ومحدثات؛ لأنها مخالفة للأذكار المشروعات في صيغها وهيئاتها وأوقاتها.

ومن ذلك تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، ويوم النصف من شعبان بصيام، فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ شيء خاص به.

ومن ذلك البناء على القبور واتخاذها مساجد وزيارتها لأجل التبرك بها والتوسل بالموتى وغير ذلك من الأغراض الشركية.

وزيارة النساء لها مع أن الرسول ﷺ لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج[2].

خطـر البدعـة:

البدع زيادة في الدين لم يشرعها الله ولا رسوله، والبدعة شر من المعصية الكبيرة، لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية فيتوب منها، والمبتدع يفعل البدعة يعتقدها ديناً يتقرب به إلى الله فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن وتُكَرِّهُ إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة.

(١) الآية (١٦) من سورة الحجرات.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور) رواه الترمذي في كتاب الجنائز باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء حديث ١٠٥٦ وابن ماجه كتاب ما جاء في الجنائز باب ما جاء في اتباع النساء الجنائز حديث ١٥٧٦.

ما يعامل به المبتدعة:

معاملة المبتدع تحكمه قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وينظر فيه إلى تحقيق المصلحة ودفع المفسدة قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

هجران أهل البدع، وترك عيادتهم، وتشييع جنائزهم، من باب العقوبات الشرعية، وهو يختلف باختلاف الأحوال من: قلة البدعة وكثرتها، وظهور السنة وخفائها: وأن المشروع هو: التأليف تارة، والهجران أخرى، كما كان ﷺ يفعله، لأن المقصود دعوة الخلق بأقرب طريق إلى طاعة الله، فيستعمل الرغبة حيث تكون والرهبة حيث تكون أصلح[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «تنقسم البدع إلى قسمين: بدع مكفرة وبدع دون ذلك، وفي كلا القسمين يجب علينا أن ندعو هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ومعهم البدع المكفرة وما دونها إلى الحق، فإذا وجد العناد والاستكبار فإننا نبين باطلهم.

أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة، فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره؛ إذا كان في هجره مصلحة فعلناه، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنبناه، وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقول النبي ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**». فكل مؤمن وإن كان فاسقاً فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه، لأن الهجر حينئذ دواء»[2].

أسئلة

س١: بيِّن حكم الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ مع الاستدلال لذلك.

س٢: ما معنى التبرك؟ وما حكم التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص مستدلاً لذلك؟

س٣: ما حكم التبرك بما انفصل من جسم النبي ﷺ، وما دليل ذلك.

س٤: ما حكم التبرك بالصالحين، وما دليل ذلك؟

س٥: ما حكم التبرك بالحجرة النبوية وغيرها من الأمكنة والآثار مستدلاً لما تقول؟

س٦: اذكر نماذج من البدع المحدثة في مجال العبادات.

س٧: اذكر شيئاً من أضرار البدع.

س٨: بيِّن ما يجب أن يعامل به المبتدع.

---

(١) منهاج السنة النبوية ١/ ٦٤-٦٥ باختصار.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢/ ٢٩٣-٢٩٤، رقم الفتوى: ٣٤٧.



الباب السادس

أولاً : مذهب السلف في كرامات الأولياء.

(أ) أصناف الناس في كرامات الأولياء.

(ب) أنواع الكرامات.

ثانيا : صفات أهل السنة والجماعة:

منها:

(أ) سلوك طريقة الرسول ﷺ.

(ب) اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

(جـ) اتباع وصية رسولنا محمد ﷺ في الخلفاء الراشدين.

(د) أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(هـ) الاجتماع على الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثالثاً : مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة والجماعة.

مذهب السلف في كرامات الأولياء

من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء.

والكرامة: ما يجريه الله على أيدي أوليائه من خوارق العادات. فالكرامة أمر خارق للعادة، غير مألوف للآدمي.

والأولياء: جمع ولي وهو المؤمن المتقي، كما قال تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

سمي ولياً اشتقاقاً من الولاء وهو المحبة والقرب، فولي الله من والى الله بموافقته في محبوباته والتقرب إليه بمرضاته. وكرامات الأولياء حق وقد دل عليها الكتاب والسنة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين.

أصناف الناس في كرامات الأولياء:

الناس في كرامات الأولياء على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من ينفيها من المبتدعة كالمعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة، وشبهتهم: أن الخوارق لو جاز ظهورها على أيدي الأولياء لالتبس النبي بغيره إذ الفرق بين النبي وغيره - عندهم- هو المعجزة التي هي خرق العادة.

الصنف الثاني: من يغلو في إثبات الكرامة من أصحاب الطرق الصوفية والقبوريين الذين يدجلون على الناس ويأتون بخوارق شيطانية كدخول النار وضرب أنفسهم بالسلاح وإمساك الثعابين وغير ذلك مما يدعونه لأصحاب القبور من التصرفات التي يسمونها كرامات.

الصنف الثالث: يؤمنون بكرامات الأولياء وبثبوتها على مقتضى ما جاء في الكتاب والسنة وهم أهل السنة والجماعة. ويردون على من نفاها بحجة منع الاشتباه بين النبي وغيره، بأن هناك فوارق عظيمة بين الأنبياء وغيرهم غير خوارق العادات، وأن الولي لا يدعي النبوة ولو ادعاها لخرج عن الولاية وصار مدعياً كذاباً لا ولياً، ومن سنة الله أن يفضح الكاذب كما حصل لمسيلمة الكذاب وغيره. ويردون على من غلا في إثباتها فادعاها للمشعوذين والدجالين



(١) الآيتان (٦٢-٦٣) من سورة يونس.



- بأن هؤلاء ليسوا أولياء الله-وإنما هم أولياء للشيطان وما يجري عليهم إما كذب وتدجيل أو فتنة لهم ولغيرهم واستدراج. والله أعلم.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع كتاب جليل اسمه: (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

أنـــواع الكرامـــات:

والكرامة منها ما يكون من باب العلم والكشف بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره أو يرى ما لا يراه غيره يقظة أو مناماً، أو يعلم ما لا يعلمه غيره. ومنها ما هو من باب القدرة والتأثير.

مثال النوع الأول: قـول عمر: يا ساريةَ الجبلَ وهو بالمدينة وساريةُ فـي المشرق، وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى[1]، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة صاحب موسى وعلمه بحال الغلام.

ومثال النوع الثاني: قصة الذي عنده علم من الكتاب وإتيانه بعرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد لما شرب السم ولم يحصل له منه ضرر.

ومما ذكر في القرآن الكريم من الكرامات ما ذكـره الله من حمل مريم بلا زوج وما ذكر في سورة الكهف من قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب موسى، وقصة ذي القرنين.

وما ذكر في المنقول بالسند الصحيح عن الصحابة والتابعين كرؤية عمر لجيش سارية وهو على منبر المدينة وجيش سارية بنهاوند بالمشرق ونداثه له: يـا سارية الجبل فسمعه سارية وانتفع بهذا التـوجيه وسلم من كيد العدو. والكرامـات موجودة في هذه الأمة إلى يوم القـيامة ما وجـدت فيهم الولاية بشروطهـا، وأولياء الله المؤمنون المتقـون وهم لا يدعون الولاية، وولايتهم لا تكون سـبباً في ترك شيء من الواجبـات ولا تخالف أمراً من أمور الدين والله أعلم.

صفات أهل السنة والجماعة:

من صفات أهل السنة والجماعة:

١ - سلوك طريقة الرسول والسير على آثاره باطناً وظاهراً بخـلاف المنافقين الذين يتبعونه في الظاهر دون الباطن، وآثار الرسـول ﷺ سنته؛ وهي مـا روي عنه وأُثِرَ عن من قول أو فـعل أو تقرير. لا آثاره الحسية كمواضع جلوسه ونومه ونحـو ذلك لأن تتبع ذلك سبب للوقوع في الشرك، كما حصل في الأمم السابقة.

---

(١) كرامات الأولياء للالكائي ص ١١٧.



٢ - ومن صفات أهل السنة اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لما خصهم الله به من العلم والفقه فقد شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل وتلقوا عن الرسول بدون واسطة فهم أقرب إلى الصواب وأحق بالاتباع بعد الرسول. فاتباعهم يأتي في الدرجة الثانية بعد اتباع الرسول ﷺ. فأقوال الصحابة حجة يجب اتباعها إذا لم يوجد نص عن النبي-لأن طريقهم أسلم وأعلم وأحكم-لا كما يقول بعض المتأخرين-إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم-فيتبعون طريقة الخلف ويتركون طريقة السلف.

٣- ومن صفات أهل السنة اتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)**[1].

وأهل السنة والجماعة يتبعون طريقة الخلفاء الراشدين على الخصوص بعد اتباعهم لطريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على وجه العموم لأن النبي ﷺ أوصى باتباع طريقة الخلفاء الراشدين وصية خاصة في هذا الحديث، ففيه قرن سنة الخلفاء الراشدين بسنته عليه الصلاة والسلام فدل على أن ما سنه الخلفاء الراشدون أو أحدهم لا يجوز العدول عنه.

٤- ومن صفات أهل السنة أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويقدمونهما في الاستدلال بهما والاقتداء بهما على أقوال الناس وأعمالهم ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله. قال تعالى:
﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ .. ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[2].

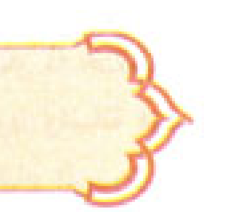
٥- ومن صفات أهل السنة الاجتماع على الأخذ بالكتاب والسنة والاتفاق على الحق والتعاون على البر والتقوى، وقد أثمر هذا وجود الإجماع، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وقد عرَّف الأصوليون الإجماع بأنه: اتفاق علماء العصر على أمر ديني بعد وفاة الرسول ﷺ، وهو حجة قاطعة يجب العمل به بعد الأصلين الأولين وهما الكتاب والسنة.

٦- ومن صفات أهل السنة أنهم يَزِنُون بهذه الأصول الثلاثة الكتاب والسنة والإجماع، جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين.

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح وسبق تخريجه أول الباب.

(٢) الآيتان (٨٧، ١٢٢) من سورة النساء.



مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة يتحلون بمكارم الأخلاق التي هي من مكملات العقيدة ومن ثمراتها:

١- فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] على ما توجبه الشريعة باليد ثم باللسان ثم بالقلب تبعاً للقدرة والمصلحة، خلافاً للمعتزلة الذين يخالفون ما توجبه الشريعة في هذا فيرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج على الأئمة، والمعروف: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح. والمنكر: اسم جامع لكل ما يكرهه الله وينهى عنه.

٢- ويرى أهل السنة والجماعة إقامة الحج والجُمَع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ويعتقدون وجوب إقامة هذه الشعائر مع ولاة أمور المسلمين سواء كانوا صالحين مستقيمين أو فُسَّاقًا فسقاً لا يخرجهم عن الملة، لجمع الكلمة والابتعاد عن الفرقة والخلاف. ولأن الوالي الفاسق لا ينعزل بفسقه ولا يجوز الخروج عليه لما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق وإراقة الدماء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الذي في إزالته. وأما أهل البدع فيرون قتال الولاة والخروج عليهم-إذا فعلوا ما هو ظلم أو ظنوه ظلماً-ويرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- ومن صفات أهل السنة والجماعة أنهم يحافظون على الجماعات والجمعة؛ لأن ذلك من أعظم شعائر الإسلام وطاعة لله ورسوله ﷺ في ذلك.

٤- ويدينون بالنصيحة للأمة فيرونها من الدين. والنصح: إرادة الخير للمنصوح له وإرشاده إلى مصالحه. فأهل السنة يريدون الخير للأمة ويرشدونها إلى ما فيه صلاحها.

٥- ومن صفات أهل السنة التعاون على الخير، والتألم لألم المصابين منهم فهم يعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»[2] وقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في

---

(١) الآية (١١٠) من سورة آل عمران.

(٢) رواه البخاري ومسلم وسبق تخريجه ص١١٩.



توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهَر والحُمَّى)[1].

٦- ومن صفات أهل السنة ثباتهم في مواقف الامتحان يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء.

والصبر عند البلاء هو: حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب.

والبلاء: الامتحان بالمصائب والشدائد.

الشكر عند الرخاء: وهو صرف العبد ما أنعم الله به عليه في طاعته. والرخاء: اتساع النعمة.

الرضاء بمر القضاء: ما يجري على العبد مما يكرهه كالمرض والفقر وأذى الخلق والحر والبرد والآلام.

٧- ويهتم أهل السنة بالأخلاق فيتحلون بالأخلاق الفاضلة ويرغبون فيها غيرهم فهم يدعون إلى مكارم الأخلاق، أي: أحسنها. ويدعون إلى محاسن الأعمال، كالكرم والشجاعة والصدق والأمانة ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»[2] فيؤمنون به ويعملون بمقتضاه، وقوله: «**أحسنهم خلقاً**» أي: ألينهم وألطفهم وأجملهم.

وأهل السنة يدعون إلى التعامل مع الناس بالتي هي أحسن وإلى إيتاء ذوي الحقوق حقوقهم ويحذرون من أضداد تلك الأخلاق من الكبر والتعدي على الناس؛ فهم يدعون إلى أن تصل من قطعك أي: تحسن إلى من أساء إليك، وتعطي من حرمك فتبذل العطاء (وهو التبرع والهدية ونحوها) لمن منع ذلك عنك لأن ذلك من الإحسان، وتعفو عمن ظلمك فتسامح من تعدى عليك في مال أو دم أو عرض؛ لأن ذلك مما يجلب المودة ويكسب الأجر والثواب.

ويأمر أهل السنة بما أمر الله به من إعطاء ذوي الحقوق حقوقهم ببر الوالدين أي: طاعتهما في غير معصية، والإحسان إليهما بالقول والفعل. وصلة الأرحام، أي: الإحسان إلى الأقربين. وحسن الجوار، أي: الإحسان إلى من يسكن بجوارك ببذل المعروف وكف الأذى والإحسان إلى اليتامى؛ والإحسان إليهم يكون برعاية أحوالهم وأموالهم والشفقة عليهم. والإحسان للمساكين؛ والإحسان إليهم يكون بالتصدق

---

(١) رواه البخاري ومسلم وسبق تخريجه ص١١٩.

(٢) رواه أحمد ج٢ ص٢٥٠، والترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ج٣ ص٤٦٦ وقال: حسن صحيح.



عليهم والرفق بهم. والإحسان إلى ابن السبيل والرفق بالمملوك ويدخل فيه المملوك من البهائم، والرفق ضد العنف وهو لين الجانب.

وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب والبغي وهو العدوان على الناس والاستطالة على الخلق، بالترفع عليهم واحتقارهم والوقيعة فيهم بحق وبغير حق، لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر وإن استطال بغير حق فقد بغى ولا يحل لا هذا ولا هذا. ويأمر أهل السنة بالأخلاق العالية، وهي الأخلاق الحسنة. وينهون عن سفسافها أي رديئها وحقيرها.

وكل ما يقوله ويفعله أهل السنة ويأمرون به وينهون عنه مما تقدم ذكره، وما لم يذكر، فقد استفادوه من كتاب ربهم وسنة نبيهم لم يبتدعوه من عند أنفسهم ولم يقلدوا فيه غيرهم، فقد قال الله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[1].

والأحاديث في هذا كثيرة منها ما تقدم ذكره:

ومزية **أهل السنة والجماعة العظمى** هي أن طريقتهم دين الإسلام فهو مذهبهم وطريقهم إلى الله وأنهم عند الافتراق الذي أخبر النبي ﷺ عن حدوثه في هذه الأمة ثبتوا على الإسلام وصاروا هم الفرقة الناجية من بين تلك الفرق وهم الجماعة الثابتة على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وهو الإسلام المحض الخالص من الشوائب، ولذلك فازوا بلقب أهل السنة والجماعة، وصار فيهم الصديقون المبالغون في الصدق والتصديق، والشهداء القتلى في سبيل الله، والصالحون أهل الأعمال الصالحة. وفيهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة.

ففي أهل السنة العلماء الأعلام المتصفون بكل وصف حميد علماً وعملاً وفيهم أئمة الدين المقتدى بهم كالأئمة الأربعة وغيرهم، وهم الطائفة المنصورة، أي: وأهل السنة هم الطائفة المذكورة في الحديث:

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[2]

نسأل الله عز وجل أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) الآية (٣٦) من سورة النساء.

(٢) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ح ١٩٢٠.

أسئلة

س١ : عرف الكرامة، واذكر أصناف الناس في الكرامة.

س٢ : اذكر أنواع الكرامات، واذكر أمثلة لذلك.

س٣ : لماذا يجب اتباع أقوال الصحابة إذا لم يوجد نص عن النبي ﷺ؟

س٤ : ما الدليل على أن ما سنه الخلفاء الراشدون أو أحدهم لا يجوز العدول عنه؟

س٥ : من صفات أهل السنة والجماعة أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلماذا؟ مع ذكر الدليل.

س٦ : لماذا سمي أهل السنة والجماعة بذلك؟

س٧ : ما مرتبة الإجماع في أصول التشريع؟ وما تعريفه؟

س٨ : من صفات أهل السنة والجماعة ثباتهم في مواقف الامتحان، فبأي شيء يكون هذا الثبات؟

س٩ : عرف الفخر والخيلاء والبغي، ولماذا ينهى عنها أهل السنة والجماعة؟

س١٠: ما مزية أهل السنة والجماعة العظمى؟

الواجبات المنزلية التي كلف بها الطالب

تاريخ إعطاء الواجب	موضوع الواجب	رقم الصفحة	إحضار الواجب		الدرجة	ملاحظات
			اليوم	التاريخ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		
/ / ١٤هـ				/ / ١٤هـ		

شركة المطابع الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press ltd. Co.
الرياض - المملكة العربية السعودية